

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

عملية الأدغال

٥٧



باسم

www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية للدراسات
للطباعة والنشر والتوزيع
١٩٩٥

الناشر



د. نبيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاهرة
بالأحداث
المثيرة

٥٧

الناشر في مصر

ح

وما يعادله بالدولار
الأمريكي لي سائر
الدول العربية
والعالم

عملية الأدغال

- لماذا اضطر (أدهم) و (منى) إلى
- اجتياز أدغال (الكونغو) القاتلة ؟
- ما سر ذلك الفرنسي المغامر ، الذي أقام
- حصناً وسط الأدغال ؟
- ترى .. أنجح (أدهم) ورفيقته في
- مخاربة قبائل (الوميزي) الشريرة ؟
- أم تبطلهم عملية الأدغال ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل
- (رجل المستحيل)



العدد القادم : إعدام بطل

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - الأحراش ..

صعد (أدهم) في درجات سلم مبنى المخابرات العامة المصرية في نشاط ، وتألفت فرق شفتيه ابتساماً هادئة جذابة ، وهو يتبادل التحيّة مع كل من يلتقى به من رجال المخابرات وموظفى الإدارة ، وعبر ذلك الممر الطويل في الطابق الثانى من المبنى بخطوات واسعة ، حتى توقّف أمام باب حجرة مدير المخابرات ، وطرقه في هدوء ، وانتظر حتى سمع صوته يدعوه للدخول ، فدفع الباب في رفق ، ودلف إلى مكتب المدير ، وهو يقول مبتسماً :

— صباح الخير يا سيّدى .. (ن - ١) في خدمتك .

ابتسم مدير المخابرات وهو يقول :

— صباح الخير يا (أدهم) .. اجلس ، فلدى هنا مهمة تحتاج إلى نشاطك الجَم .

جلس (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— كلّى آذان صاغية يا سيّدى .

٥

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال في اهتمام :

— هل تحب قضاء إجازة في أدغال (الكونغو) يا (ن - ١) ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— إجازة عمل ؟!

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وهو يقول :

— بالطبع يا (ن - ١) .

ثم مال نحوه مستطرداً :

— الأمر عاجل وخطير يا (ن - ١) ، فهو يتعلّق

بالاقتصاد المصرى كله .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم في قلق :

— يا إلهى !!

نهض مدير المخابرات من خلف مكتبه ، ولوّح بذراعه

وهو يقول :

— أحبطت أجهزة الأمن عندنا ، في الشهور الثلاثة

الأخيرة ، أكثر من خمس محاولات لتريب كميات ضخمة من

الذهب إلى البلاد ، وعلى الرغم من ذلك ، يؤكد رجال الأمن

أن كميات أكبر قد نجحت في الدخول إلى الأسواق ، عن طريق

مجموعة من المهربين الدّوليين ، مما يؤدّى إلى حالة من التضخّم

٦

المالى ، تسبّب بالضرورة في اضطراب النظام الاقتصادى ، بل قد تؤدّى مع استمرارها إلى انهياره وتحطيمه ، وهذا يعنى انهيار الدولة كلها ، وهو أمرٌ نحيا ونعمل لمنع حدوثه يا (ن - ١) .

شمل الاهتمام (أدهم) من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .

وهو يقول في انفعال :

— وكيف يمكن منع حدوث ذلك يا سيّدى ؟

تهنّد مدير المخابرات وهو يقول :

— إننا نبذل أقصى جهدنا لمنع دخول ذلك الذهب المهرّب

إلى البلاد يا (ن - ١) ، ولكن هذا وحده لا يكفى ،

فحدودنا شاسعة كبيرة ، وأساليب هؤلاء المهربين متنوعة

متعددة ، ولن يتمّ حسم هذا الأمر إلّا بالقضاء عليه من

مصدره .

ومطّ شفتيه وهو يستطرد :

— ولقد قمنا بتجربات واسعة مكثفة ، توصلنا من خلالها

إلى تحديد الرأس المدبّر ، وزعيم عصابة المهربين هذه . ولكن

ذلك وضعنا في خيرة أكبر ، فهذا الزعيم فرنسى مغامر ، يقيم في

(الكونغو) منذ عشر سنوات ، وله ثقل كبير هناك ، وبحوزة

ثقة السلطات بدرجة مدهشة ، حتى أنه من المستحيل إقناع

٧

السلطات هناك بإلقاء القبض عليه ، دون دليل قوى ، ثم إن التخلص منه ليس بالأمر السهل ، فلقد اختار لإقامته حصناً قوياً وسط الأدغال (الكونغو) ، لا يسهده إلا للضرورة القصوى ، وبصورة سرية للغاية . ومفاجئة ، بحيث يستحيل تحديد ذلك ، والوصول إلى حصنه نفسه مستحيل ، فهو محاط بأحراش وغابات كثيفة ، ترعش بالوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة . والطريقة الوحيدة للذهاب إليه أو مغادرته هي الهليوكوبتر ، وهو يحتاج لذلك أيضاً ، فيمتلك جهاز إدار قوى ، وأسلحة مضادة للطائرات .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— ألا يملك بعض الذبابات والمدفوعات ؟

هو المدير رأسه في هدوء ، وقال :

— نعم يا (ن - ١) ، ولكنه يملك جيشاً من المرتزقة المسلحين ، يتفق عليهم في سقاء ، ويدربهم على قتل كل من يحاول التسلل إليه بلا رحمة .

مط (أدهم) شفتيه وهو يقول في هدوء :

— ما من جهاز أمن بالغ الإحكام يا سيدي .

أجابه مدير المخابرات في هدوء :

٨

— هذا صحيح يا (ن - ١) ، فكل نظم الأمن ، مهما بلغت درجة إحكامها ، تحوى بالضرورة ثغرة ما ، ولكن هذه الثغرة تكون دائماً عسيرة ، بالغة الضيق ، حتى أنها تحتاج إلى رجل على شاكلتك لعبورها .

ثم التقط من فوق مكتبه خريطة جغرافية ، فردها أمام عيني (أدهم) ، وأشار إليها بسبابه ، وهو يستطرد :

— لقد أقام ذلك الفرنسي (جان بول) حصنه وسط الأدغال ، الواقعة بين مدينة (كينشاسا) ، وبحيرة (إدوارد) والثغرة الوحيدة للوصول إليه هي عبور جزء من نهر (الكونغو) ، حتى شلالات (سائل) ، ثم اجتياز عشرة كيلومترات في أكثر الأدغال العالم وحشية ، ومحاولة عبور ثلاثة كيلومترات أخرى من الأحراش .

ابسم (أدهم) ، وهو يقول متبكها :

— وهل تسمى هذا ثغرة يا سيدي ؟

ابسم مدير المخابرات ، على الرغم من خطورة الموقف ، وهو يقول :

— ألم أقل لك إن هذه الثغرة تحتاج إلى رجل مثلك

يا (ن - ١) ؟

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) في هدوء :

٩

٢ - رحلة سينائية ..

نقر مدير مكتب التصاريح السياحية في (كينشاسا) بأصابعه على سطح مكتبه ، وهو يتأمل الرجل والفناء ، الواقفين أمامه في هدوء ، ويتفكر في ملاحظتهما في اهتمام ، وقد أثار اهتمامه ذلك العدد من آلات التصوير السينمائي الذي يحملانه ، ثم قال في لهجة أرادها بالغة الهدوء ، وبلغة فرنسية تحمل لكنة عجيبة :

— إذن فأنت تريد المخاطرة بتصوير الحياة الطبيعية لحيوانات

(الكونغو) المفترسة ، حول بحيرة (إدوارد) يا سيو (أمجد صبري) .

أجابه (أدهم) في حماس مقتعل :

— سيكون ذلك رائعاً ، وأنا واثق من أن فيلمي المرتقب سيدز على ثروة باهظة .

خدخه المدير بنظرة متشككة ، إلا أنه حافظ على هدوء شجته ، وهو يقول :

١١

— إنني أتوق لرحلة إلى الأدغال منذ زمن طويل يا سيدي . لم يستطع مدير المخابرات منع ابتسامة الإعجاب ، التي ملأت شفثيه ، وهو يقول :

— وستبدأ رحلتك صباح الغد يا (ن - ١) ، وليوفقك الله (سبحاته وتعالى) .

نهض (أدهم) وهو يقول في هدوء :

— بل قل ستبدأ رحلة الصيد في الأدغال يا سيدي .. سيد (جان بول) .



١٠

— وهل من الحكمة أن تصحب زوجتك في مثل هذه المهمة
البالغة الخطورة ؟

أجابته (منى) في هدوء :

— لقد اعتدت ذلك يا سيدي ، فلقد شاركت زوجي تصوير
بعض الأفلام المماثلة في غابات (إندونيسيا) ، و (الهند) ،
و (البرازيل) .

اعتدل المدير ، وهو يسأل (أدهم) في جلة مفاجئة :

— وهل تدرك ما ينتظرك في هذه الرحلة يا ترى ؟

هز (أدهم) كتفيه في لا مبالاة ، وهو يقول :

— إذا كنت تقصد الحيوانات المفترسة فأنا لا أخشاهما
يا سيدي ، فلقد اعتدت — بحكم عملي — التعايش معها ، ثم
إن سيارتي معدة لصيد محاولاتها لا فتراسا .

لوح المدير بذرأعه ، وهو يقول في عصبية :

— ولكنتك في هذه المرة ستواجه ما لم تتخيله في (إندونيسيا)

(و الهند) و (البرازيل) يا مسيو (أجد) ، فنهز (الكونفو) في
تلك الأنحاء بغضبت بتأسيح (الكائنات) المفترسة ، الشديدة
القوة والوحشية ، والغابات حول شلالات (ستانلي) تنوح
بأفئس الحيوانات المفترسة ، وهي شديدة الكثافة والوعورة ،

ثم إن هناك قبائل (الويميزي) البدائية ، التي يحلو لمقاتليها
الأشداء تزيين أكوارهم برعوس أعدائهم ، والمتطفلين
عليهم .

مطأ (أدهم) شفتيه ، وهو يقول في هدوء :

— سأحاول تخاشيم يا سيدي .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يتأمل (أدهم) و (منى) في
جدة ، ولكن ملاحظه لم تلبث أن لانت فجأة ، وارتسمت على
شفتيه ابتسامة خفيفة ، وهو يقول في هدوء :

— حسنا يا مسيو (أجد) .. سأمنحك وزوجتك التصريح
اللازم ، ولكن

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— ولكن ماذا يا سيدي ؟

التقط المدير من أمامه ورقة بيضاء ، وضعها أمام
(أدهم) ، قائلا :

— سأحصل على تعهد منك بأنك تعلم مدى ما ينتظرك من
مخاطر ، وبأننا غير مسئولين عما يمكن أن يصيبك ، حتى القتل
بواسطة الحيوانات المفترسة .

تناول (أدهم) قلما ، وكسب ما أراده المدير في هدوء ،
وناوله الورقة ، فطالعها المدير في اهتمام ، ثم ابتسم ، قائلا :

— في هذه الحالة يمكنني منحكما التصريح اللازم .

ثم ذلل التصريح بتوقيعه ، وناوله لـ (أدهم) وهو يتسم
قائلا :

— رحلة موفقة .

تناول (أدهم) التصريح في هدوء ، ودسّه في جيبه ، وهو
يقول :

— شكرا يا سيدي .. ستهدي إليك نسخة من فيلمنا
بإذن الله .

تابعهما المدير ببصره حتى غادرا مكتبه ، ثم علا يلتقط
التعهد الذي كتبه (أدهم) ، وقرأه مرة ثانية ، ثم ابتسم في
شراسة مغمفا :

— لقد وقعت شهادة وفاتك أيها المغرور .

ثم نهض إلى جهاز لاسلكي في ركن مكتبه ، وأدار مؤشره
لحظة ، ثم أمسك سماعته ، وقال وهو يتسم في سخرية :

— مسيو (چان بول) .. لدى هنا معلومة ستثير اهتمامك
للغاية ..

وضع (چان بول) سماعة جهاز اللاسلكي ، بعد أن

انتهى حديثه مع المدير ، ونهض بدور في حجرته الأنيقة بفاتمه
الفارغة ، وجسده المفلول العضلات ، وهو يرتدى قميصا
لفضاضا من الحرير المنقوش بألوان زاهية ، وسروالا قصيرا
يصل إلى منتصف فخذه ، وقد تمتلئ بجزام جلدي مزركش ،
ينتهي في جانبيه الأيمن بمسدس ضخيم من ذلك النوع الذي
يستخدم لصيد الوحوش ، وقد انعقد حاجباه فوق عينيه
الزرقاوين ، وأخذ يداعب شعره الأشقر الذهبي الناعم ،
ووجهه الحليق يبدو أشد قساوة من ذي قبل ، ثم صاح في
صوت حائق :

— (مارسيل) .

دخل إلى حجرته — إثر ندائه — شاب مفصول
العضلات ، أسود الشعر ، يحيط وجهه شارب كث ، وحية
ضخمة ، وقال في هدوء :

— ماذا تريد يا مسيو (چان بول) ؟

ازداد انعقاد حاجبيه (چان بول) ، وهو يقول :

— يبدو أننا نتنظر زيارة بعض الفضوليين يا (مارسيل) .

لم يبد أي أثر للدهشة في ملامح (مارسيل) ، وهو يقول :

— كيف يا مسيو (چان) ؟

لنوح (جان) بذراعه ، وهو يقول :

— هناك مصوّر سينائي زائف وزوجته ، أصراً على الحصول على تصريح باجتياز الأدغال ، في طريقهما إلى هنا ، بحجة تصوير بعض الوحوش المفترسة حول بحيرة (إدوارد) .

قال (مارسيل) في برود :

— وكيف تنقّي لي أنهما زائفان ؟

مطّ (جان) شفتيه ، وقال في جدّة :

— ليس من المنطقي أن يختارا هذا المسار الطويل ، من (كينجاني) إلى بحيرة (إدوارد) ، إلا إذا كانا يريدان عبور المنطقة بالذات .

غمغم (مارسيل) في هدوء :

— ربّما كانا يريان الخطأ بامسيو (جان) .

عاد (جان) يلنّح بذراعه في سخط ، وهو يقول :

— أنا لا أشاركهما هوايتهما هذه يا (مارسيل) ، فأنا أكره الخطأ ، وأكره ذلك الشعور بالشك .

لم يحاول (مارسيل) مناقشته طويلاً ، بل طرق الهدف مباشرة ، قائلاً :

— هل تحبّ أن تتخلّص منهما بامسيو (جان) ؟

حذجه (جان) بنظرة طويلة ، ثم انفت إلى خريطة كبيرة تزيّن جانط حجرته ، وأشار إليها قائلاً :

— ليس فوراً يا (مارسيل) .. سنتركهما يواجهان

ثناسيح (الكايما) أولاً ، وأحراش منقطة ضلالت

(سنانل) ، و (الوميزي) . فإذا ما بلغ حظهما درجة

النجاح في اجتياز كل هذا ، فسنعمل على التخلّص منهما فور

عبورهما منطقة (الوميزي) ، وسنطمع وحوش (الكونغو)

بجثتهما .

تألّقت عينا (مارسيل) في جدل وحشي ، وهو يقول :

— نعم يا ماسيو (جان) .. إنني أحب هذا الأسلوب ..

أحبه جدّاً .

أوقف (أدهم) تلك السيارة الضخمة ، التي احتشدت

بآلات التصوير السينائي ، في منطقة موحشة من الأدغال ،

وقال لـ (منى) في هدوء :

— سنترك السيارة هنا يا (منى) ، وسنعود إليها بعد

اتهاء مهمتنا بإذن الله .

عقدت حاجبها ، وهي تغمغم في توفّر :

— هذا ما إذا ما قدّر لنا العودة .

ثم هفت في حلق :

— ولكن لماذا تصرّ على اجتيازنا تلك الأدغال على قدمينا ؟

هزّ كتفيه وهو يقول في هدوء :

— لأن المنطقة التي نريد الوصول إليها متشابكة

الأغصان ، يستحيل عبورها بمثل هذه السيارة ، ثم إنه ليس من

المفضل أن نثير سكان الأدغال كلهم بصوت محرّك سيارة ،

سيبدو مثل صرخة قوية في عالم من السكون ، وسط هذا

الاجتماع البدائي .

هبطت من السيارة ، وهي تبسم في شحوب ، قائلة :

— لك دائماً منطق مقنع .

النقط (أدهم) آلة تصوير سينائية كبيرة ، وأخذ يحملها في

اهتمام بالغ ، حتى قسمها نصفين ، والنقط من التجويف

الواضح في داخلها مسدّسين ، ناول أحدهما إلى (منى)

ودسّ الآخر في حزامه ، ثم النقط خنجرًا كبيرًا ، وضعه داخل

جراب خاص ، مثبت في عنق حذائه الجلدي الطويل ، وهو

يقول :

— هذان المسدّسان مزوّدان بكافّي صوت يا (منى) ،

ولكنني أرجو الانستخدمهما إلا للضرورة القصوى ،

وستحمل معنا قاربنا مطاطيًا بلا محرّك لاجتياز النهر .

أموات إليه برأسها موافقة ، في حين النقط هو آلة تصوير

أخرى صغيرة ، علّقها في كتفه ، وهو يتسم قائلاً :

— والآن تبدأ رحلتنا يا عزيزتي ..

سارت إلى جواره ، وهي تغمغم في توفّر ساعره :

— رحلتنا ؟! .. ياله من مصطلح !!

ثم عادت تتبعه في صمت ..

لم يكن اختراق تلك الأدغال الكثيفة بالأمر الفيسّ ،

فالأغصان متشابكة ، متعاقبة ، تملّ بالأشواك الحادة ،

والأعشاب تملّ بمختلف أنواع الهواء والحشرات ، ورائحة

الثار العطنة تركّم الأنوف ، إلا أن (أدهم) ظلّ يشق طريقه في

صبر وأناة ، و (منى) تتبعه في إرهاق ، دون أن تشكو

أو تعرض ، وهي تعبر المناطق التي مهّدها أمامها (أدهم) ،

وإن لم يمنع هذا بعض الأشواك الحادة من خدش بشرتها ،

أو تمزيق أجزاء صغيرة من قميصها أو سروالها ، وهي تحمل

كل هذا حتى يصلا إلى النهر ، ويسدّان في عبوره إلى ضلالت

(سنانل) ، وبدا لها الوقت بطيئًا ثقيلًا ، وهي تسير على بعد



ولكن ذلك الضغط المائل الذي شعرت به حول صدرها وجسدها ،
أصاب حجرتها بالشلل ووصل رغبها وألمها إلى ذروتها ..

ثلاثة أمتار من (أدهم) ، الذي لم يلتفت إليها مرة واحدة طيلة الوقت ، منذ غادرا السيارة ..

وفجأة التفت حول جسدها جسم أسطواني غليظ دائي ،
وأحاط بها في قوة احتيبت لها صرخة رعب في حلقها ، وشل
حركة ذراعها في سرعة ، وهو يعتصر جسدها الضئيل بلا رحمة .
وحاولت أن تصرخ مستجدة (أدهم) ، وهي تتطلع إليه
بعينين جاحظتين من شدة الرعب ، وهو يواصل شق طريقه في
همة ، ولكن ذلك الضغط المائل الذي شعرت به حول صدرها
وجسدها ، أصاب حجرتها بالشلل ، ووصل رغبها وألمها إلى
ذروتها ، حينما التفت نهاية الجسم الأسطواني حولها ، وارتفعت
مقدمته ، لتجد (منى) نفسها وجهها لوجه أمام ذلك الرأس
الضخم للبعان (البوا) ، وقد فتح فكّه عن آخرهما وبرز لسانه
المشقوق الخفيف ، وسط زوج من الأنياب الحادة ، وهو يرم
بالتهام رأسها (٢٠) ، وعيناه البارذتان تمدقان في عينيها ..

ورأت (منى) في عيني (البوا) الموت ..

(٢٠) ثعبان (البوا) : أضخم الثعابين على وجه الأرض ، وهو غير
سام . ولكنه يعتمد على قوته الهائلة لاقتصار ضحاياه ، وابتلاعهم ،
ويبلغ طوله في المتوسط سبعة أمتار ، ويمكنه ابتلاع حمار وحتى كامل بالغ .

٢٠

٣ - مواجهة الخطر ..

أشعل (مارسيل) سيجارة نفّاذة الرائحة ، وهو يشير إلى
إحدى الطائرات المليكوبتر الثلاث ، القابعة في مهبطها
الحامض ، داخل حصن (جيان بول) ، قائلاً لاثنتين من رجاله :
— إنني لن أنتظر حتى يتجعد الغريبان في الوصول إلى هنا ،
سأحاول التخلص منهما راقية بهما ، قبل أن تلتهمهما الوحوش
المفترسة ، وعليكما أن تستقلا المليكوبتر ، وتفحصا منطقة
النهر ، ولا أريد أية أخطاء .

قال أحد الرجلين في استهزاء :

— هل نطلق عليهما النار فور رؤيتهما ؟

هزّ (مارسيل) كتفيه ، وهو يقول في سخرية :

— وهل تصوّر أنني أرسلكما لتسليمهما باقة من الزهور ؟

تبادل الرجلان نظرة مرحة ، تفيض بالشراسة ، ثم قال
أحدهما وهو يرتج على مدفعه الرشاش في حماس :

— لا بالطبع يا مسيو (مارسيل) .. فلنذخر باقة الزهور

لتضعها على قبريهما .

أطلق (مارسيل) ضحكة وحشية ، وهو يقول :

— سيكون ذلك بالغ الصعوبة يا رجل ، فربما تورّع
قربانها في بطون أسود الغابة وتماشيها .

استسم الرجلان في ثقة ، ثم اتفقا في صمت إلى المليكوبتر ،
في حين غمغم (مارسيل) في تهكم ، وهو ينفث سيجارته
ذات الرائحة النفّاذة :

— لن تكتمل رحلتكما السيئانية للأسف أيها المصريّان .

كان (أدهم) يشق طريقه وسط الأغصان المتشابكة في
اهتمام ، مطمئناً إلى أن (منى) تتبعه ، ولكن شيئاً ما جعله يوقف
فجأة ، وابتلعت إلى الخلف في حدة .

لا يمكننا مهما بحثنا أن نعرف كنه هذا الشيء ، (منى) لم
تصرخ ، ولم تتفوه بكلمة أو حرف واحد ، حينما باغتها ثعبان
(البوا) بهجومه ، ولقد كان الهجوم سريعاً ، حذراً كعادة
الثعابين ، حتى أنه لم يترك أثراً .

ولكن (أدهم) شعر به .

ربما كان حذساً .. أو غريزة تمت مع معايشة الخطر ،
ومجاهدة الموت ..

أو هو نداء قلب ..
لعله هذا أو ذاك .. لأحد يدري .. المهم أن (أدهم) قد
التفت فجأة ، ورأى لعيان (البوا) وهو يتصر جسد (منى) ،
ويهم بالتهايمها .
ولم يستغرق (أدهم) أكثر من نصف الثانية ، ليفكر ،
ويقرر ، وينفذ .

لقد ألقي آلة التصوير السينمائية الصغيرة ، والقارب
المطاطي عن كفيه ، واسلّ خنجره الضخم من غمده ،
واندفع كالصاروخ نحو لعيان (البوا) الضخم ، وبفزة
واحدة تلتقي في عنقه ، وجذب رأسه بعيداً عن رأس (منى) ..
وأراد اللعيان المفترس الضخم أن يلتفت لمواجهة خصمه ،
ولكن ذلك الخصم أحاط عنقه بذراع طولاذية ، وهوى
بخنجره على رأسه ، وغاص بصله في مخ اللعيان .
وانتفض جسد أضخم لعيان الأرض ، وتنتشج لسانه
المشقوق في قوة ، ثم تراعى الجسد ، وسكن قائماً .
وأسرع (أدهم) ينتزع زميله من الجسد الأسطواني
الضخم اللثف حولها ، وهاله ذلك الجحوظ الشديد في
عينها ، والشحوب الهائل في بشرتها ، فهتف بها في جزع :

— (منى) .. هل أنت بخير ؟
مضت لحظة وهي تحديق وجهه بذهول وشروء ، قبل أن
تفجر باليكاء ، وتعود الدماء إلى بشرتها الوردية ، فرتت على
كفها في حنان ، وهو يقول :

— لقد انتهى كل شيء يا عزيزتي .. لقد زال الخطر .
وتركها تجهش باليكاء بعض الوقت ، حتى هدأ روعها ،
وجففت دموعها ، وهي تقول في امتنان :
— لقد كان موقفًا بشعًا ، ولكنك أنقذت حياتي يا (أدهم) .
ضحك وهو يقول في مرح :

— لا عليك يا عزيزتي .. لقد اعتدت ذلك ، فعل الرغم
من المتاعب التي تسببها في دائماً ، إلا أنني أكره أن أفقدك .
ابتسمت في حجل وسعادة ، وهي تغمغم :

— أنا أيضاً أكره أن أفارقك يا (أدهم) .
ارتفع صياحه لحظة في حنان ، ثم لم يلبث أن عاد يهتف في مرح :

— هل تواصل رحلتنا ؟
تهتفت وهي تقول في حماس :
— هيّا بنا .. لا أعقد أننا سنواجه أبشع مما واجهت
منذ لحظات .

ولكنها كانت مخطئة ...

برز نهر (الكونغو) أخيراً ، بعد ساعتين من التوغل في
الأدغال ، وتنهّدت (منى) في ارتياح ، وهي تقول :
— يا إلهي !! ظننت أننا لن نبلغه أبداً .
أوصل (أدهم) أسطوانة الهواء المضغوط بالزورق
المطاطي ، وهو يقول :

— المهم أن ننجح في اجتيازه يا (منى) ، فسيكون علينا
أن نسبح فيه عكس التيار ، وهو يزداد ضيقاً كلما أوغلنا فيه ،
في اتجاه شلالات (سنالي) ، ويمتلئ بتناسيح (الكايمان)
المفترسة ، ولكنه الطريق الوحيد الذي يمكننا من الوصول إلى
حصن (چان بول) ، دون أن نلقى بأنفسنا بين يدي قبائل
(الوميزي) .

ارتفع صوت ذلك الفحيح المكنوم ، المبعث من أسطوانة
الهواء المضغوط الصغيرة ، وهي تملأ الزورق المطاطي بالهواء ،
في حين ابتسمت (منى) وهي تقول :
— لن نحاول أن نثير مخاوف ، فلقد اعتدت مواجهة أخطار
مادمت بصحبتك .

ابنسم وهو يلمس أسطوانة الهواء المضغوط . ويضع
الزورق على سطح النهر ، قائلاً :

— هيّا بنا .. فلقد حانت لحظة الخطر الحقيقي ..
قفزت (منى) إلى الزورق ، وبدأ (أدهم) يستخدم
مجدافه في دفع الزورق إلى عرض النهر ، وعاونته (منى)
بالمجداف الآخر في صمت . وقد تركّز ذهنها كله في عبارة
(أدهم) الأخيرة ..
لقد حانت لحظة الخطر الحقيقي ..

مرّت ساعة بطيئة ، وهما يسبحان بزورقهما في عرض
النهر ، الذي بدأ يضيق بالفعل كلما تقدّما فيه ، حتى شعرت
(منى) بالتعب ، فغمّست في إرهاق :

— لا يمكنني أن أحصل على قدر من الراحة ؟
توقّف (أدهم) عن التجديف ، وهو يقول :
— يمكنك بالطبع يا عزيزتي ، فهذا أفضل من الشعور
بالتعب قرب شلالات (سنالي) .
تنهّدت في إرهاق وهي تضع مجدافها داخل الزورق
المطاطي ، ومدّت أناملها تداعب سطح الماء ، وهي تغمغم في
استرخاء :

— عجبًا !! .. الماء يبدو رائعًا صافيًا ، على الرغم

من

قاطعها (أدهم) وهو يتنف فجة في صرامة :

— أخرجني يدك من الماء .

انزع (منى) يدها من الماء في جزع ، وهي تنف :

— ماذا حدث ؟

أشار إلى حافة النهر وهو يقول في جلة :

— إننا لانتزه في نيل القاهرة يا (منى) ، من الخطر هنا

أن يضع المرء جزءًا من جسده في الماء .

التفت (منى) إلى حيث أشار ، وتحل إليها لحظة أن حافة

النهر تملئ بالعشرات من جذوع الأشجار الملقاة في إهمال ،

ولكنها لم تلبث أن تبثت من حركة هذه الجذوع غير الطبيعية ،

أنها لم تكن إلا عشرات من تماسيح (الكايما) ، التي ترقد في

انتظار ضحاياها ، فالتسعت عنها في ذعر ، وهتفت :

— يا للبياسة !!

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— وكنت ستقدمين لهم وجبة دسمة يا عزيزتي .

ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهي تغتمغ :

٢٨



التفت (منى) إلى حيث أشار ، وتحل إليها لحظة أن حافة النهر تملئ
بالعشرات من جذوع الأشجار الملقاة في إهمال ..

٤ — أنياب التماسيح ..

لم ينتظر (أدهم) كثيرًا ليتأكد من نوايا راكبي الهليكوبتر ،
فهو لم يكذب ولمح فؤهة المدفع الرشاش تطل من نافذتها ، حتى
التقط مسدسه في سرعة مذهلة ، وأطلق النار ..

وفوجئ (فرانسوا) ، الذي كان يمسك المدفع الرشاش ،
بالرصاصة تصيب مدفعه ، وتنزعه من قبضته التزاغ ، يسقط
منه في أعماق النهر ، فعاد إلى مقدمه في ذعر ، وهو يتنف في
سخط :

— يا للشيطان !!! .. هذا الرجل محترف .. محترف
ولاشك .. لقد أصاب مدفعي برصاصة واحدة .. أمطرهما
بمدفع الهليكوبتر يا (جاك) .

ولم يكن (جاك) ينتظر ذلك الأمر ، فلقد شعر بخطورة
(أدهم) منذ الطلقة الأولى ، وضغطت يده في قوة على زر
الإطلاق ، المبت أعلى عصا القيادة ، وانهمرت رصاصاته على
الزورق المطاطي ..

٣١

— ليست دسمة إلى هذا الحد .

ضحك وهو يقول :

— من حسن الحظ أن صديقنا (قدرى) لا يرافقنا في هذه
الرحلة ، وإلا فلما استطاعت التماسيح إيقاف لعبائها لرؤية
جسده الضخم ..

ضحكت (منى) ، وكادت تنطق بكلمة ما ، لولا أن
تبدلت ملامح (أدهم) فجأة ، وتجهمت ، وهو يشير إليها
قائلًا في جلة :

— هل تسمعين ؟

أرهفت (منى) سمعها في قلق ، وتحل إليها أنها تسمع
صوت محرك يقرب ، وقبل أن تسأل (أدهم) عما ينيه
ذلك ، ارتفعت هليكوبتر (جان بول) فجأة فوق الزورق
المطاطي ، وهتف قائدها في حماس :

— لقد عثرنا عليهما .. عدا يا (جاك) .. منطعم جتيمما
تماسيح النهر ..

وانقضت الهليكوبتر ..

٣٠

ولم يلتفت (أدهم) إلى الرصاصات التي أصابت الزورق ، ولإلى صرخة (منى) ، حينما غاص الزورق المنقلب في مياه النهر بسرعة ، وإنما صوب مسدسه إلى (فرانسوا) ، الذي أطلق برأسه من المليونكوتير ، وأطلق النار .. واختارت رصاصته رأس (فرانسوا) ، الذي جحطت عيناه ، وسقط من المليونكوتير كالخجر ، وارتطم بمياه نهر (الكونفو) ، في اللحظة نفسها التي غاص فيها زورق (أدهم) و (منى) تمامًا .. وهتف (جاك) بدوره :
— باللشيطان !! ..

ثم أدار المليونكوتير في مناوراة حادة ، واندفع بها بعيداً ، في حين التفت (أدهم) إلى (منى) ، ومأخذاً اهتمام :
— هل أصابتك رصاصات هذا الوحش ؟
جاءه صوتها مغمماً بالعرب ، وهي تقول :
— لا .. ولكن هناك ما هو أخطر من الرصاصات .
أنفت (أدهم) إلى حيث تنظر رفيقته في رعب ، وتذكر فوراً تماسيح (الكايان) ، فقد كانت تسبح نحوها بالعشرات .

٣٢

كان الموقف مخيفاً . جذيراً أن يثير الرعب في قلوب أشد الرجال بأساً وشجاعةً ، إلا أن (أدهم) ظل متالكاً جأشه ، وهو يقول لـ (منى) في هدوء :
— لا يرهبتك أمر هذه الحيوانات البشعة يا (منى) .. أطلق النار على رؤوسها .
أناه صوتها مرتفعاً ، وهي تقول :
— لقد فقدت مسدسي .. كنت أضعه إلى جوارى حينما غرق الزورق .
ناولها مسدسه في سرعة ، واستل خنجره ، وهو يقول في صرامة :

— هاك مسدسي .. هيا .. أطلق النار بسرعة .
كانت تماسيح (الكايان) تقترب منها في سرعة ، وتشق النهر كزوارق بخارية طويلة ، وعيونها الضخمة تبرز فوق السطح حاملة الموت والملاك ، ولكن (منى) صُبت مسدس (أدهم) بين العيون ، وأطلقت النار ، في حين ملأ (أدهم) صدره بالهواء ، وغاص وسط تماسيح (الكايان) المفترسة ، وهو يقبض على خنجره في قوة .. وفوجئت تماسيح (الكايان) بأنها ليست أكثر تماسيح

٣٣

٣٣ — رجل المسجل — عملية الأدهال (٥٧) ..

الإلتصاخاً واحداً ..

كان أكبر التماسيح حجماً ، وأكثرها ضخامةً ، حتى يبدو كأنه زعيمها ..

وكان يفضل لحم البشر ..

ولقد شق طريقه في مياه النهر في سكوت وحذر ، نحو (منى) التي أولته ظهرها ، وعيناه الضخمتان تعلوان السطح ، وتلتهمان (منى) بنظراتهما الباردة ..

وفجأة شعرت (منى) بالتمساح الذي يتسلل خلفها ، واستدارت إليه في رعب ، ورأته يفتح فكيه الخيفين عن آخرهما ، وتسلسل إلى أنفها رائحته العجيبة ، التي شلت أطرافها ، وهي تمحّد في صفى الأنياب الحادة اللامعة .. وانقضّ عليها زعيم تماسيح (الكايان) ..

عقد (جان بول) حاجبيه في شدة ، وهو يقول في مزيج من الدهشة والعصية :

— قتل (جاك) برصاصة واحدة !! .. تقول إنسه يستخدم كاتمًا للصوت !!

أوماً (فرانسوا) برأسه إيماناً ، وهو يقول في توثر :

٣٥

العالم وحشية وقوة ، على الرغم من فكوكها القوية ، وأنيابها الحادة الطويلة ..

لقد انقضّ (أدهم) على أول التماسيح في شجاعة مذهلة ، وغاص أسفلها في براعة لا يضاهيه فيها إلا لعين البحر الماكر ، ثم عاد يرتفع في سرعة ، ويشق بطنه بخنجره الحاد ، ويعود ليغوص بعيداً ، متلاحقاً تلاطمات ذيل التماسيح القوي بالماء ، وهو يلفظ أنفاسه ..

كان صراعاً مذهلاً بين وحوش النهر ، وعما لقة البشر .. كانت (منى) تحافظ على اتزانها في مياه النهر العميقة في صعوبة ، وهي تطلق النار على رؤوس التماسيح في توثر ، و (أدهم) يصارعها بخنجره تحت الماء ..

واصططت مياه النهر بدماء التماسيح ، وانقضت البقية منها على رفاقها الصرعى تلتهمها في شراسة ، كأنما قرّرت الاكتفاء بها بدلاً من (أدهم) و (منى) (*) ، في نفس اللحظة التي نفذت فيها رصاصات الأخيرة ..

(*) تجذب رائحة الدماء التماسيح ، تماماً كما تنقل مع أسماك القرش ، وإذا ما أصيب أحدها ، فإن الآخرين يرحضون لالتهامه ، دون النظر إلى وحدة الجنس .

٣٤

— نعم يا ميسو (جان) .. إنه محترف ولا شك .

وقال (مارسيل) في هدوء :

— لم يعد هناك مجال للشك يا ميسو (جان) ، فالصوّر
السينائي المحترف لا يحمل مسدسًا مزوّدًا بكاتم للصوت .

زفر (جان بول) في قوّة ، وهو يقول :

— إنه من رجال الأمن المصريين ولا شك .. لقد قرّروا
مهاجمتنا في عقر دارنا .

ثم أردف في توتّر :

— ولكن هذا يعني أنهم قد توصّلوا إلينا .

غمغم (مارسيل) في سخرية :

— هذا ما يبدو لي أيضًا يا ميسو (جان) .

لوح (جان بول) بذواخيه في سخط ، وهو يقول :

— لا بد من التخلص منهما .. مهما كان الثمن .

هتف (فرانسوا) :

— لقد أصيبت زورقهما ، ولاريب أن (الكايمان) قد
التهمتها عن آخرها .

ازداد انفعال حاجبي (جان بول) ، وهو يفكر في عبارة

(فرانسوا) ، ثم عاد يلوح بذواخه قائلاً :

٣٦

— لن أترك شيئًا للتخمين أو الاستنتاج .

ثم التفت إلى (مارسيل) ، قائلاً في صرامة :

— اذهب بنفسك إلى حيث أصابكما (فرانسوا)

(يا مارسيل) ، وإشأ أن تعود إلتي بالدليل القاطع على

مصرعهما ، أو تكمل ما بدأتاه تقاسيح (الكايمان) .

كان زعيم القاسيح ينقضّ على (منى) في ثقة ، وهو
مطمئن إلى أن فريسته قد أصبحت ملك أنياه ، وأن قوّة في
الأرض لن تنجح في انتزاعها منه ، ولكن سطح النهر انشقق
فجأة عن مفاجأة مذهلة ..

عن رجل يطلقون عليه اسم (رجل المستحيل) ..

لم تكن المفاجأة من نصيب القاسح وحده ، بل كان الجزء
الأعظم منها من نصيب (منى) ، التي اتسعت عيناها في
ذهول ، حينما قفز (أدهم) من تحت سطح النهر فجأة ،
واعتل ظهر القاسح الضخم ، وأخذ يعمل خنجره في
جسده ..

وثار زعيم القاسيح ، وأخذ يضرب صفحة الماء بذيله
القويّ ، وهو يحاول إلقاء خصمه عن ظهره ، وخنجر
(أدهم) يقوص في جسده ، ويمزقه بلا هوادة ..

٣٧



وغاص الخصمان إلى الأعماق ، وهناك كشف القاسح خطأ
معتقداته ، فلقد كان خصمه سيّدًا في البر والبحر ..

وأخيرًا قرّر القاسح أن يستدرج خصمه إلى العالم الذي هو
سيّده ..

إلى أعماق النهر ..

وغاص الخصمان إلى الأعماق ، وهناك كشف القاسح
خطأ معتقداته ، فلقد كان خصمه سيّدًا في البر والبحر ، ولقد
ألّبت سيادته حينما شقّ بطن القاسح بطعنة أخيرة محكمة ،
ارتجف لها وحش النهر ، ثم غاص صريعًا قليلًا ، وأسرع أتباعه
السابقون بنهبون جسده ، وكأنيهم ينتفحون من سيطرته
الطويلة عليهم ..

وصعد (أدهم) إلى سطح النهر ، واستنشق الهواء في
شفغ ، ثم تلفت حوله بحثًا عن (منى) ، واتسعت عيناها ذعرًا
حينما لم يعثر لها على أثر في المنبر ، أو فوق حافتيه ، ووددت
الأدغال القاسية صرخته ، وهو يهتف باسمها في لوعة وجزع ..

٣٨

٥ - الريح ..

شبل الجزع جسد (أدهم) حتى النخاع ، وهو يغوص في مياه النهر ، متجاهلاً أنياب التماسيح المشغلة في التهام الصرعى من رفاقها ، باحثاً في يأس عن رفيقة كفاحه وحياته ، حتى انتابه اليأس ، ويكي قلبه بدموع من دم ، وهو يتصورها وقد سقطت فريسة لأنياب أحد التماسيح المفترسة ، حيناً كان هو يقتاتل زعيمها في عمق النهر ، وأخذ يسبح نحو الشاطئ في ألم ، حتى وصل إلى حافة النهر ، فالتقى جسده المتيك بالتعب والحزن إلى جوار جذع شجرة ضخمة ، وضغ ركبتيه إلى صدره ، وألقى رأسه فوقهما ، وانتابه رغبة قوية في البكاء ..

لم يستطع أن يتصور نهاية (منى) عل هذا النحو ..

(منى) الرقيقة الجميلة ، التي أحبها كما لم يجب قط مخلوقاً آخر في هذا العالم ..

وأخذ يلوم نفسه في فسوة لقبوله اشتراكها في هذه العملية البالغة الخطورة ، وترفقت عيناه بالدمع وهو يتصور نفسه السبب في مصرعها ..

٤٠

لقد اعتاد مشاركتها إياه في مغامراته ، حتى أنه لم يعد يطيق العمل دونها ، ولم يتصور أبداً أن يفقدها هكذا ..

بين أنياب تمساح .. يا لليشاعة !! ..

جال بخاطره لحظة أن يقتل كل تماسيح الأرض انتقاماً لها ، إلا أن اليأس العارم في أعماقه منعه من أن يحرك ساكناً ..

وقد يصاب من يعرفون (أدهم صبرى) بدهشة بالغة ، إذا ما رأوه في هذه الحالة من اليأس ، فيهم يتصورونه رجلاً قاسياً جافاً ، لا مكان للعواطف في أعماقه ..

هذا لأنهم لا يعرفونه إلا كما يرونه .. صلباً ، قوياً ، عتيذاً ، ساخراً ، بأساً ، مغامراً ، جنديداً ، مقاتلاً ..

ولكن (أدهم) ليس كذلك فقط ..

إن (أدهم صبرى) كتلة من الحب والحنان والمشاعر .. حتى في قتاله يجب ..

إنه صلب قوي عتيذ ، لأنه يحب وطنه ..

ساخر بأسل مغامر من أجل رفعة وعلو شأنه ..

صنديد مقاتل دافعاً عنه ..

إن الطاقة التي صنعت من (أدهم) كل هذا هي الحب ..

الحب وحده ..

٤١

كان هناك ربح بدائى غاص نصله في جذع شجرة قريبة ، وقد تعلق به جزء من قميص (منى) ..

ولى فقرة واحدة وصل (أدهم) إلى الريح ، وانزعج في انفعال ، واختطف ذلك الجزء من القميص يتفحصه في توتر ..

واتضححت الصورة في رأسه ..

لقد سبحت (منى) إلى حافة النهر ، وهو يقاتل التماساح الرهيب ، وفاجأها رجال (الويميزى) ، وما دام لم يعثر على جثتها فقد اختطفوها .. لقد حملوها حيّة إلى قريتهم ..

وكان هذا الأمل وحده كفيلاً بأن يتحوّل رجل المستحيل إلى قبيلة حيّة ..

قبيلة تروج بالحماس والإصرار والقوة والصلاة واليأس ..

قبيلة تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

الحنى (مارسيل) يتحدث الريح الملقى على حافة النهر في اهتمام ، ثم نهض واقفاً على قدميه ، ومطّ شفتيه في سخط وهو يعقمع :
— يا للشيطنان !! إذن فقد نجح المصريان من التماسيح ، ووقعا في يد (الويميزى) (*) ..

(*) (الويميزى) : قبائل بدائية حفية ، تعيش في أدغال (الكونغو) ، وتسمى بسلندى الرؤوس .

٤٣

ولقد كانت (منى) نصف الحب في أعماقه ..

ربما كان يسوءها أن تعلم أنها تملك نصف حبه فقط ، ولكنه لم يكن يستطيع منحها أكثر من ذلك ، فقد منح النصف الآخر لوطنه ..

منحه لمصر ..

وفي هذه اللحظة ، وهو يستند إلى جذع الشجرة ، كان يشعر أنه فقد نصف حبه .. ونصف عمره .. ونصف حياته ..

كانت أول مرة يكي فيها رجل المستحيل ..

كانت أول مرة تسيل فيها دموعه كالخيم فوق وجهه في صمت ، ودون أن يشعر ..

لقد كان ينمى نصف حياته المفقودة ..

ولى ببطء وألم نهض (أدهم) ..

نهض مقاوماً أحزان قلبه الجارفة ليواصل عطاءه لنصف حياته الآخر ..

نهض ليواصل مهمته ، التي كلفته إياها مصر ، ومن أجل مصر ..

وفجأة تعلقت عيناه (أدهم) بنقطة وسط الأغصان الكثيفة ، وارتجف قلبه في قوة ، وفشت من سرعة نبضاته ، فقد

٤٢

غمغم (فرانسوا) في تولد .

— لعل هذا ما بقي منهما .

هـ (مارسيل) رأسه نقيا في حلق ، وهو يقول :

— لا أيها الأحمق ، إنك لا تحسن قراءة الأثر ملثما أقبل أنا ..

لقد سبحت الفتاة إلى هنا أولا ، وهاجها (الويميزي) ، وأسرورها ، وحلوا إلى قريتهم ، ثم جاء ذلك الشيطان الذي قتل (بياك) ، وجلس عند جذع الشجرة هناك ، ثم عثر على الرمح ، وانتزع من مكانه ، وخلع قميصه الملقي هناك ، ثم صعد إلى تلك الشجرة الضخمة ، وانقطعت آثاره عندها ، وهذا يعني أنه يتقلد عبر الأشجار ، محاولا تقليد (طرزان) ربيب القرد (*) .

استعت عينا (فرانسوا) ، وهو يغمغم في دهشة :

— هل علمت كل ذلك من الآثار هنا ؟

ابسم (مارسيل) في غطرسة ، وهو يقول :

— بل من عشر سنوات من الحيرة يا رجل .

(هـ) طرزان ، شخصية وهمية ابتكرها الكاتب (إدجار رايس باروز) ، ليؤكد بها عقيدته العنصرية ، عن قوة الرجل الأبيض وعظمته ، وقدرته على السيطرة على الزنوج ، الذين يبدون دائما متخلفين في روايات (طرزان) .

وغمغم مسدسه المعلق في جرابه المجلدى المدلى من ركن خزامه ، وهو يستطرد :

— ومن السهل التيقن من ذلك يا (فرانسوا) ، فأنت تعلم أننا نبادن (الويميزي) ونحوز صداقتهم ونقتبهم ، منذ أقام (جان بول) حصنه هنا ، ومنذ بدأنا نرسل جولات الذهب عبر أراضيهم ، مقابل إمدادهم ببعض الأدوية والمؤن ، ولقد شارفت الشمس الغروب ، ومن الخطر اختراق الأدغال إلى قرية (الويميزي) في الظلام ، لذا سأذهب مع مشرق الشمس إلى زعيمهم ، وسأعرف منه مصير الرجل والفتاة . ورفع عينيه إلى الشمس الغاربة ، وهو يردد في سخرية :

— أو أحصل على جثتيما .

لم يتوقف (أدهم) .. لحظة واحدة عن القفز من شجرة إلى أخرى ، متعلقا بأليافها الطويلة القوية ، منذ غادر حافة النهر ، حتى بدأ أقرب ما يكون إلى (طرزان) ، وكأنه يؤكد عبارة (مارسيل) ، خاصة وهو عازي الصدر ، مفتول العضلات ، وخجيره معلق في نطاقه ..

ومع غروب الشمس ، وصل (أدهم) إلى قرية (الويميزي) ، الماطلة بحاجز مرتفع من جذوع الأشجار ، ذات الأطراف المدببة ، التي أقام بها (الويميزي) سورا للدفاع عن قريتهم ، ضد هجوم الحيوانات المفترسة ، والقبائل المعادية ..

واختفى (أدهم) بين أغصان شجرة ضخمة ، تطل على ساحة القرية ، وأخذ يدرس المكان في عناية وخبرة ..

كان رجال (الويميزي) منهمكين في صقل رماحهم وأسهمهم ، وشد أقواسهم ، في حين يتحرك زعيمهم حولهم في قوة وهمية ، يشد من أزهرهم ، ويلهب حماسهم بعبارة لم يفهم منها (أدهم) حرفا واحدا .

وفي وسط الساحة انكبت نساء القرية على إيقاد نار ضخمة ، وطهر الصيد الذي أحضره الرجال ، في حين حملت إحداهن وعاء طعام إلى كوخ منزول ، يقف على حراسه رجلان مفتولا العضلات ، واضحا القوة ، وفي يد كل منهما رمح قوي حاذ النهاية ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء ، ليعلم (أدهم) أنهم يحتفظون بـ (منى) هناك ، ولما تحتاج إلى براعة الاستنتاج ، لتعلم أنه لم يكن ينوي تركها بين أيديهم ..

ولكنه لم يحرك ساكنا في هذه اللحظة ..

ظل ساكنا في مكانه بين الأغصان ، كما لو كان غائلا من الرخام ، وعينه لا تفارقان الكوخ ، حتى ساد الظلام ، وتناول رجال (الويميزي) عشاءهم وأوى كل منهم إلى كوخه ، عدا رجال الحراسة ، الذين وقفوا في شيوخ يثير الإعجاب ، ورماحهم مشهورة في أيديهم ..

وهنا فقط تحرك (أدهم) ..

زحف فوق غصن الشجرة الضخم في نعومة النعنان ، ثم تعلق بطرفه ، وترك جسده يتدلى لأسفل ، وأخذ يتأرجح لحظة ، ثم قفز في مرونة الفهد وخفة القط داخل قرية (الويميزي) ..

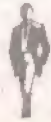
هبط (أدهم) على قدميه ، وثني ركبتيه ليخفف من صوت هبوطه ، ويختص جسده نقله ، ثم تسلل في خفة ورشاقة ، مستترا بالأكواخ المتناثرة ، حتى وصل إلى كوخ (منى) .. ولجأة انقض على حارس الكوخ كالصاعقة ، فلجم أوامها لكمة كالقنبلة ، وغاصت قبضته في معدة الناق ، ثم عاجله بكلمة حطمت أنفه ، وتركها يسقطان عند قدميه في صوت مكتوم ، وترقب لحظة ، ليتأكد من أن صوت صراعه معها لم يولط النائمين ، أو يثير قلق الحراس الآخرين ، ثم دفع باب

الكوخ الخشبي ، ومرت داخله في سرعة ، وأسرع إلى الجسد
النائم في ركنه ، وهزّه في رفق ، وهو يهيم :

— استيقظي يا (منى) .. إنه أنا .. (أدهم) .
ولجأت سمع شهقة مكرومة من الركن الآخر للكوخ ،
أعقبه صوت (منى) ، وهي تهتف في جزع :

— (أدهم) ؟ !

التفت (أدهم) في دهشة إليها ، وعاد بعينه إلى الجسد
الذي أيقظه ، فطالعه وجه واحدة من نساء (الوميزي) ملء
بالرعب ، وقبل أن ينبجح في منعها ، شقت سكون المكان
بصبحة رعب قوية ، لم تكد تتلاشى حتى ارتج المكان كله
بصرخات (الوميزي) القتالية ، وهم يتقصصون عل
الكوخ ..



وهنا فقط تحرّك (أدهم) .. زحف فوق غصن
الشجرة المنحني في تومة الصبان ..

ولم تمض عشر دقائق منذ بدء القتال ، حتى كان (الوميزي)
يدفعون (أدهم) و (منى) أمامهم في قسوة إلى حيث يجلس
زعيمهم ، فوق عرش عظام الحيوانات المفترسة ، تزيّنه عروس
أعدائه ..

وساد الصمت التام حينما رفع الزعيم كفه في مهابة ، وعاد
يخفضها وهو يحذق في وجهي (أدهم) و (منى) في غضب ،
ولكن (أدهم) منحه ابتسامة ساخرة ، جعلت حاجبيه يتعقدان
في شدة ، وهو يتتف بعبارة ساخطة ، مشيراً إلى أحد رجاله ،
الذي تقدّم من (أدهم) ، وسأله بفرنسية ركيكة :

— هل تتحدّث الفرنسية ؟ !

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول بفرنسية طليقة :

— أعتقد أنني أتحدّث بها أفضل منك .

تجاهل المترجم البدائي التبرة الساخرة في حديث (أدهم) ،
وهو ينقله بلغة (الوميزي) إلى زعيمه ، الذي صاح بعبارات
أخرى ، نقلها المترجم إلى (أدهم) قائلاً :

— الزعيم يقول إن تسلك إلى قريبنا عمل يستوجب
إعدامك .

أجاب (أدهم) في سخرية :

٦ — طعام الأسد ..

حطمت صرخة المرأة خطة (أدهم) كلها في ثانية واحدة ،
واقبحم العشرات من رجال (الوميزي) الكوخ في غضب
وثورة ، وانقضوا على (أدهم) في وحشية ، وفقرت (منى)
من مكمنها تعاون زميلها ، الذي فاجأها بوضوله ..

وحطمت قبضة (أدهم) الفولاذية فك أول الرجال ،
وهشمت الأخرى أنف الثاني ، وغاصت قدمه في معدة
الثالث ، في حين تفادت (منى) دمع أحد الرجال ، ولكمته في
طرف أنفه ، فازاحته عن طريقها ، ودارت على أطراف أصابع
قدمها اليمنى كراقصة باليه ، لتركل رجلاً ثانياً في وجهه ..

ولكن (الوميزي) كانوا مقاتلين أشداء شجعان ، وفي كل
مرة يبعد (أدهم) أو تبعه (منى) أحدهم ، كان الآخرون
يقاثلون بمزيد من البسالة والقوّة ، حتى أحاط عشرة منهم
بـ (أدهم) ، وقيدوا حركته تمامًا ، وأسرع آخرون يكتبلون
معصميه بأحبال ليفية ، في حين فعل زملاؤهم المثل مع (منى) .

— قل له إن وجهه يشبه وجه قرد مصاب بعسر المضم .
تجاهل المترجم البدائي حديث (أدهم) مرة أخرى ، وهو
يستمع إلى زعيمه ، الذي أخذ يلوح بكفه ، وهو يتحدث في
صرامة ، قبل أن يقول المترجم :

— ولكنه عمل ينطوي على شجاعة بالغة ولا شك ؛ لذا
فسيعاملك الزعيم كما تعامل الخاربين المتمردين .

أشار الزعيم يده في عظمة ، فأسرع رجال (الوميزي)
يجذبون (أدهم) إلى عمود خشبي من منتصف الساحة ،
ويقوده إليه في إحكام وقوة ، ثم جذبت النساء (منى) إلى
الكوخ ، وهي تقاومهن في عنف ، واقرب المترجم من
(أدهم) قائلاً :

— لن يطول بك الانتظار .. سيبنى كل شيء عند الفجر .
وتركه يضرب أحماساً في أسداس ، محاولاً استنتاج طريقة
معاملة الخاربين المتمردين ، وإن لم يداخله شك في أنها طريقة
أبشع من الموت ذاته ..

لم يغمض جفن (أدهم) لحظة واحدة حتى مطلع الفجر ،
ولم تتوقف محارلاته للتخلص من القيد طيلة الوقت ، حتى

شقت أشعة الشمس الأولى كبد السماء ، فغادر محاربو
(الوميزي) أكواخهم والنفوا حولهم ، وهو يتسم في
سخرية ، إلى أن تقدم منه زعيمهم ، بصحبه مترجمه البدائي ،
الذي قال بفرنسيته الركيكة :

— حانت لحظة الاختبار أيها الأبيض .

تحدث الزعيم بضغ لخطات ، ثم صمت وهو يتحدث في وجه
(أدهم) في تحد ، وقال المترجم :

— أنت تريد الفتاة ، وهي من حق (الوميزي) ، ولكننا
سمنحك إيّاها لو أنك نجت في إحضار أسد حتى إلى هنا .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— بالغا من مبادلة عادلة !!

تجاهل المترجم سخريته كالعادة ، وهو يواصل حديثه
قائلاً :

— سنطلق سراحك الآن ، وسيكون عليك إحضار الأسد
إلى هنا حيناً قبل أن يتوسط قرص الشمس كبد السماء ،
وإلا أصبحت الفتاة نفسها طعاماً للأسد .

عقد (أدهم) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— لو من أحدكم شعرة واحدة من رأسها فساقتلكم جميعاً .

تهبط في ساحة القرية ، فأسرع تحفّف دموعها ، وتغسل
النظر عبر شقوق الكوخ إلى الساحة ، ولم تستطع منع تلك
القشعريرة التي سرت في جسدها ، حيناً وقع بصرها على
الشباب القنول العضلات ، الذي هبط من هليوكوبتر ،
واستقبله زعيم القبيلة بالترحاب ..

لقد كان (مارسيل) ، الذي هتف في مرح ، وهو يصفاح
الزعيم :

— كيف حال أعظم زعماء (الوميزي) ؟

قام المترجم بدوره في نقل الحديث بين الطرفين ، حيناً قال
الزعيم :

— في غير حال أيها الأبيض الصديق .

قال (مارسيل) :

— إنني أبحث عن رجل أبيض وفتاة بيضاء ، كانا عند حافة
النهر أمس .

شرح له الزعيم ما حدث في كلمات موجزة ، و (مارسيل)
يصغي إلى المترجم في اهتمام ، حتى وصل إلى العقاب الذي وقعه
زعيم (الوميزي) على (أدهم) و (منى) ، فأطلق
(مارسيل) ضحكة ساخرة عالية ، وقال في جدل وحشي :

لم يحاول المترجم نقل هذه العبارة الأخيرة إلى زعيمه ،
الذي أشار لرجاله بمثل قيود (أدهم) ، ثم اقتادوه إلى بوابة
القبيلة ، حيث أشار المترجم إلى شروق الشمس ، قائلاً :

— ستجد الأسود إذا ما تحركت في اتجاه الشمس ،
ولا تحاول العودة لإنقاذ الفتاة ، فسيقتلها رجالنا إذا مارأوك
تقترب .

ثم أغلق الرجال بوابة القبيلة الخشبية الضخمة في وجه
(أدهم) ، وقد صدر حكم زعيم القبيلة ..

ووقف (أدهم) يتطلع إلى قرص الشمس لحظة ، ثم غمغم
في صرامة :

— لن أخذلك هذه المرة يا عزيزي (منى) .. سأحضر
ذلك الأسد حياً ، أو أدفع حياتي ثمناً لك .
واتجه في صلابة إلى حيث تشرق الشمس ..

انخرطت (منى) في بكاء أليم ، منذ أغلق رجال
(الوميزي) بوابتهم خلف (أدهم) ، وقد تصوّرت أن
ذلك المطلب المستحيل يعني نهايتها ونهاية (أدهم) معاً ، ولم
تتوقف عن بكائها إلا عندما صك مسامعها صوت هليوكوبتر

— يحضر أسدا حيا؟ نعم .. إنها فكرة مذهلة أيا
الزعيم .. فليحضر أسدا حيا ، أولئك حنقه هو وزميله .
وعاد يطلق تلك الضحكة الوحشية الساخرة ..

أخذ (أدهم) ينتقل بين الأشجار ، قافزا من واحدة إلى
أخرى ، متعلقا بأليافها المتدلية ، تماما كما كان يفعل حينما كان
يبحث عن قرية (الومبزي) ، حتى وصل إلى منطقة من
الأحراش الممتدة ، فاستقر وهو يلهث فوق غصن شجرة
قوية ، وأخذ ينتزع أليافها في سرعة ومهارة ، ويجد لها على هيئة
حبل قوى ، حتى انتهى من صنع الحبل ، وتأكد من متانته ، ثم
صنع من أحد طرفيه أنشودة تشبه تلك التي يستعملها رعاة
الأنهار ، وقفز من فوق الشجرة إلى الأرض ، وهو يغمغم :

— والآن أين أنتم أيها الأسود ؟

وأخذ يتحرك وسط الأحراش في حذر ، وهو يتلفت
حوله ، حتى استقر بصره على أسد ضراغام ، انهبط في التهام
فريسته ، فبعد حاجبيه وهو يقول في سخرية :
— لا تخف معدتك أيا الليث ، وإلّا فمنا نجحت في
اجتذابك .

٥٦



وأخذ ينتزع أليافها في سرعة ومهارة ، ويجد لها على هيئة حبل قوى ،
حتى انتهى من صنع الحبل ، وتأكد من متانته ..

— معذرة يا ملك الغابة .. لم تكن لحظة مصرعي بعد .
ثم أدار أنشوطه في الهواء ببراعة ، وقذف بها نحو الأسد ،
فالتفت حول عنقه ، وأحكمت رباطها مع جذبة (أدهم)
القوية ، وازداد هياج الأسد وهو يحاول التخلص من قيد
رقبته ، ولكن (أدهم) زاد من قوة جذبه ، حتى جعلت
عينها الأسد ، وبدا وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ..
وهنا انقض (أدهم) على الأسد ، واشتبك ليث البشر مع
ملك الأدغال ، وانفضت أدغال (الكونغو) من هول
الصراع ..



٥٩

وأطلق فجأة زئيرا قويا ، يشبه زئير الأسد ، الذي رفع
رأسه عن فريسته في دهشة ، وأدار عينيه الحادتين إلى حيث
يقف (أدهم) ، الذي لوح بأنشوطه في تحد ، وعاد يطلق
ذلك الزئير القوي .

وزار الأسد بدوره ، وقد قرأ التحدي في عيني (أدهم) ،
ثم انطلق نحوه في شراسة ، وهو يوى ضمه إلى قائمة طعامة ..
وألقي (أدهم) كل إصراره ، ورغبته في الظفر إلى قدميه ،
وانطلق يعود في سرعة مذهلة ، أمام الأسد الذي غمكه
الغضب ، وأخذ يقترب من (أدهم) ، وهو يزار في قوة
ووحشية ، حتى كادت مخالبه تغرس في جسد (أدهم) ،
الذي اندفع نحو أقرب شجرة خارج منطقة الأحراش ، وقفز
إليها دافعا جسده إلى أعلى بأقوى ما يمكنه ، وتعلق بغصن
الشجرة في نفس اللحظة التي قفز فيها الأسد نحوه ، ورفع
قدميه إلى أعلى متفاديا مخالبه ، ثم دار بجسده حول العنق في
رشاقة ومرونة ، واستقر جالسا فوقه ، واتسم ساخرًا وهو
يتأمل الأسد النازل ، الذي أخذ يترق خلاء الشجرة بمخالبه في
غضب ، محارلا الصعود إلى حيث جلس (أدهم) ، الذي
غمغم في تهكم :

٥٨

٧ - الومبىزى ..

نهلت أساير (چان بول) ، وارتفع حاجباه فى دهشة وسعادة ، وهو يصف فى جدل :

— يحضر أسدا حيا ؟!.. ياله من مطلب !!

وأطلق ضحكة مجلجلة ، وهو يستطرد :

— إنه لن يتجح فى ذلك أبدا .. ما من بشر يمكنه أن يفعل ذلك بيديه العاريتين .

ولكن القلق لم يلبث أن عاد يكسو ملامحه ، وهو يردف فى توتر :

— ولكن ماذا لو أنه ترك الفتاة لمصيرها ، وأتى إلى هنا ؟

اجسم (مارسيل) فى سخرية ، وهو يقول :

— إنه لن يفعل ذلك .

هتف (چان بول) فى سخط :

— وكيف يمكنك أن تكون واثقا هكذا ؟

هز (مارسيل) كفيه فى لامبالاة وهو يقول :

٦٠

— لقد خاطر بنفسه فى محاولة لإنقاذها من قربة (الومبىزى) ، على الرغم من كل مايتطوى عليه ذلك من مخاطر ، ولن يتردد فى محاولة إنقاذها مرة أخرى .

عقد (چان بول) حاجبيه ، وهو يقول :

— يبدو لي حديتك منطقيا يا (مارسيل) ، ولكنى اعتدت الأائق إلا فيما أراه بعينى ، وأؤمن بأن هذا سر نجاحى فى عمليات تهريب الذهب .

عاد (مارسيل) يتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— لم يمكنك ذلك هذه المرة يا مسيو (چان) ، فحجة ذلك الشيطان المغامر لا بد أنها تستقر الآن فى معدة أسد جائع .

عقد (چان بول) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

— قد لا يمكنى رؤية جسده يا (مارسيل) ، ولكنى أستطيع التأكد من مصرعه ، فستطلق أنت و (فرانسوا) إلى قرية (الومبىزى) بعد أن ينتصف النهار ، فإذا ما وجدتموهم قد أطلعوا الفتاة للأسود ، فسيبنى هذا أن الرجل قد لقي مصرعه ، أمّا إذا

قاطعه (مارسيل) ، وهو يقول فى صرامة :

— لا توجد (إذا) يا مسيو (چان) .

٦١

وفجأة نار الغضب فى أعماقها ، وانضضت به عروقها .
فصرخت فى قوة :
— كلام ..

وفى حركة سريعة لكمت أقرب النساء إليها ، وغاصت إلى أسفل متفادية الأبدى التى حاولت الإمساك بها . ثم انطلقت تعدو نحو بوابة القبيلة بلا هدف ، وراوغت أحد مقاتلي (الومبىزى) حينما حاول إيقافها ، وغبرت تحت ذراع آخر ، ولكن الثالث جذبها من شعرها فى قسوة ، وطوّق ذراعها ووسطها بساعديه القويتين ، وجملها متجاهلا مقاربتها الشرسة ، وألقاها تحت قدمى الزعيم . ثم رفع رمحها إلى أعلى ، وكاد يطعن قلبها ، لولا أن انبعث هتاف قوى من حارسى البوابة ، جعل أفراد القبيلة ينفون فى دهشة ، وتسمع عيونهم وهم يتبادلون نظرات مذهولة ، ثم تركوها ملقاة عند قدمى الزعيم . وأسرعوا جميعا يفتحون البوابة ، وتسروا أمامها فى دهول ، فنهضت (منى) فى بقاء ، وتطلعت إلى البوابة بدورها ، ولم تكد تطلع إلى ما يرونه حتى صرخت بزعج من الدهول الشديد والفرح العارم :

— يا إلهى ...!! (أدهم) !!

٦٢

ثم أردف فى شراسة :
— إذا كانت الأسود قد فشلت فى قتل ذلك الشيطان المصرى ، فأنا لن أفلت .. ولو وجدته حيا فأسفله بيدى هاتين .

وجذب صمام مدفعه الرشاش ، ثم غادر الحجرة فى خطوات سريعة ..

توسّطت الشمس كبد السماء ، واختلج قلب (منى) بين ضلوعها ، حينما قال لها المترجم البدائى :

— لقد انتصف النهار ، وفشل صاحبك ، ولا مفر من تنفيذ القانون .

ترقرقت الدموع فى عيني (منى) ، وهى تغغم فى جزع :

— ولكن هذا مستحيل !! إن عدم عودة (أدهم) تغنى أنه أنه

وانسعت عيناها فى ألم وذعر ، وهى تهتف :

— يا للهول !! إنها تعنى أن (أدهم) قد لقي مصرعه .
التفت حولها نساء القبيلة ، وآخذن يترغن بأغنية عجيبة ، لم تفهم منها (منى) كلمة واحدة ، ولكنها فهمت أنها نوع من التآبين لها ، قبل إلقائها للأسود ..

٦٢



واحبست أنفاس (الوميزي) ، وتراجعوا في خوف واحترام ،
ليفسحوا الطريق أمام ذلك المشهد الأسطوري ..

٥٤ - رجل المستحيل - عملية الأبطال (٥٧)

ولم تستطع منع ذلك الإعجاب الذى امتزج بفخر قوى ،
ملأ عروقها حتى الأعماق ، وهى تتطلع إلى (أدهم) ، الذى
بدا كواحد من الأبطال الأسطوريين بعضلاته المفتولة ،
وشموخه ، وقامته المنتصبة ، وهو يحمل فوق كتفيه أسدا
ضخمًا ، قيد أقدامه الأربع بجبل من ألياف الأشجار ، وكتم
فمه بأنشودة من النوع نفسه . وقد سالت الدماء من جروح
متعددة في صدره وذراعيه ..

واحبست أنفاس (الوميزي) ، وتراجعوا في خوف
واحترام ، ليفسحوا الطريق أمام ذلك المشهد الأسطوري ،
(أدهم) يتقدم في هدوء نحو عيهم ، الذى ظل ساكنًا ،
بارد النظرات ، حتى وصل (أدهم) إليه ، وألقى الأسد تحت
قدميه ، ونصب قامته في اعتداد ، وهو يقول :

— ها هو ذا الأسد الحى !!

وشق غثان السماء عتاف إعجاب قوى ، أطلقه محاربو
(الوميزي) ، وهم يبتون (رجل المستحيل) ..

اندفعت (منى) تتعلق بـ (أدهم) ، وهى تنفث في سعادة
غامرة :

٦٤

— يقول الزعيم إن هذا يؤسف ، ولكنه لن يمنعكم من
القتال من أجل شعبيكم ، وهو يؤكد أنه سيكون لكم مكان
دائمًا على مائدة (الوميزي) ، و.....

بتر المترجم البدائي عبارته ، وارتفعت عيون الجميع إلى
أعلى ، حينًا ارتفع هدير المليونير الذى تقبل (فرانسوا)
(و (مارسيل) ، وهى تخلق فوق الأشجار ، وتحاول الهبوط في
ساحة القرية ، وبدا عليها هتف (مارسيل) في ذهول :

— يا للشيطان !!! لقد جاء الرجل بالأسد الحى .

هتف (فرانسوا) في ذهول مماثل :

— هذا مستحيل !!

اختطف (مارسيل) مدفعه الرشاش ، وهو يقول في
غضب هادر :

— إنه لن ينجو منى .. لن ينجو أبدًا ..

وصوب فوهة مدفعه إلى جسدى : (أدهم) ، و (منى)
قبل أن تستقر المليونير وسط الساحة ، وأطلق النار ..

٦٧

— لقد فعلت امرأة أخرى .. لقد خرفت حاجر المستحيل .
ابتسم وهو يرتب على كتفيه في حرارة وحنان ، قائلاً :

— لقد فعلت من أجلك يا (منى) .

امتلاً قلبها بالفخر والسعادة والحب ، وهى تحبف دماءه
بأصابعها ، في حين رفع الزعيم ذراعه ، وابتسم لأول مرة ،
ونقل المترجم البدائي كلماته القوية إلى (أدهم) و (منى) ،
قائلاً :

— يقول الزعيم إنك مقاتل يستحق الإعجاب ، وإنك
أعظم من كل محارب (الوميزي) ، وإنه من العار قتل رجل
ملك ، أو حتى مجرّد خدشه ، وإنك فخر لكل الرجال
الببيض ، وهو يعتبر عن كل ما بدر منك في حقك وحق
رفيقتك ، وهو يدعوكم لقبول ضيافته لمدة يومين ، حتى يزيل
من نفسيكما أثر ما حدث منا .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— قل لزعيمك إنه أيضًا زعيم عظيم ، يحترم وعوده ، وإننا
كما نتمنى البقاء في ضيافته ، ولكن لدينا مهمة خاصة من أجل
شعبنا ، تجعلنا نضطر لمغادرتكم .

نقل المترجم كلمات (أدهم) إلى الزعيم ، الذى بدا أسفًا
وهو يجيب عنها ، ولقد أعاد المترجم إجابة الزعيم ، قائلاً :

٦٦

٨ - الطريق نحو الهدف ..

ليس من السهل أن يجدد علماء وظائف الأعضاء كيف يصرف (أدهم صبرى) في مثل هذه المواقف ، فهو يحطم دائماً كل النظريات المعروفة في تخصصهم ، وكل النتائج التي العملية التي يتكون فيها أنفسهم في معاملهم ، وكل النتائج التي تخرج بها كتبهم ، ولن يكون أمامهم ، بعد أن تهكمهم دراسة ردود أفعاله ، إلا أن يقولوا ، وهم يزور أكتافهم في خيرة ، إنه الاستثناء اللازم لتأكيد كل قاعدة علمية معترف بها ..

ففى نفس اللحظة التي اقتربت فيها المليونكوتير من الأرض ، والتي استعد فيها (مارسيل) لإطلاق النار على (أدهم) و (منى) ، انطلق (أدهم) كالبرق نحو المليونكوتير ، وبدت قفزاته مذهلة في عيون الجميع ، وهو ينقض على (مارسيل) ، ويقبض على معصمه ، ليعده قفزة مدفع الرشاش عن الساحة .. وانطلقت الرصاصات في الهواء ، وامتلأ قلب (فرانسوا) بالربع أمام المشهد المذهل ، فعاد يرتفع بالمليونكوتير وهو

٦٨

يرتحف ، في حين ظل نصف جسد (أدهم) معلقاً في الهواء خارج المليونكوتير ، وهو يتصارع مع (مارسيل) في شراسة ..

ولقد كان (مارسيل) قوياً جريئاً ، مما جعله يواجه لكمة قوية إلى فلك (أدهم) ، صانحاً في غضب :

— ليس من السهل أن تفعل ذلك مع (مارسيل) .
تلقى (أدهم) اللكمة في فكه ، وشعر برأسه يدور من شدة إزهاقه ، إلا أنه سيطر على وعيه ، وهو يتشبث بمجازر المليونكوتير بقبضته اليسرى ، ويوجه لكمة صاعقة إلى أنف (مارسيل) ، قائلاً في سخرية :

— مع من تحب أن أقفها إذن ؟

لرئخ (مارسيل) ، وترك مدفعه الرشاش يسقط من المليونكوتير ، ثم عاد يتشبث بمقعدته ، ويوجه لكمة أخرى إلى وجه (أدهم) ، صارخاً في ثورة :

— أيها الشيطان الحقيق !!

تفادى (أدهم) اللكمة في براعة ، وعاد يلكم (مارسيل) في معدته ، فتأوه ، وصرخ في غضب :

— أيها الخنازع .

٦٩

وفي حركة سريعة مفاجئة التقط مسدسه من جرابه ، وألقاه بجهة (أدهم) ، وأطلق النار ..

مرة أخرى نعود إلى علماء وظائف الأعضاء ، وإلى نظرياتهم المعقدة ، فلم يكذب (أدهم) يرى مسدس (مارسيل) وهو ينتزع من جرابه ، ويشعر بفؤهته الباردة تلصق بجهته ، حتى أفلت قبضته المسبكة بمجازر باب المليونكوتير ، وثنى جسده إلى الخلف في مرونة ، وشعر برصاص (مارسيل) تعبر فوق رأسه غماماً ، وترك جسده يبرى إلى أسفل ، حتى بدا وكأنه سيسقط من حائق ، إلا أنه تشبث في اللحظة الأخيرة بالقائم الأفقى ، الذي تستقر فوقه المليونكوتير عند هبوطها ، ودار بجسده كله في رشاقة مذهلة دورة رأسية ، ليلف ساقيه حول عنق (مارسيل) ، ثم يجذبه إلى خارج المليونكوتير في حركة سريعة رائعة ..

وجحظت عين (مارسيل) في رعب ، وهو يحاول التشبث بأى شيء ، وطوح ذراعيه في الهواء في يأس ، قبل أن يتوى من ارتفاع عشرين متراً إلى ساحة قرية (الوميضى) .. وارتحف جسد (فرانسوا) من قمة رأسه حتى أخمص

٧٠

قدميه ، حين رأى (مارسيل) يسقط على رأسه ، الذى تهشم وسط الساحة ، ووصل رعبه إلى ذروته عندما شاهد (أدهم) وهو يحاول القفز داخل المليونكوتير ، فصعد بها على حين غرة ، ومال إلى الجانب الذى يتعلق به (أدهم) ، محاولاً إلقاء (رجل المستحيل) خلف (مارسيل) ، ولكن (أدهم) نجح على الرغم من ذلك في القفز داخل المليونكوتير وأمسك ذراع (فرانسوا) في قوة ، وهو يقول في سخرية :

— معذرة أيها الودع .. سأضطر إلى استعارة هذه المليونكوتير .

صاح (فرانسوا) في رعب :

— إنها لك .. إنها لك ولكن لا تضربنى .. أرجوك .
قلب (أدهم) شففيه في امتعاض ، كعادته كلما قابل رجلاً يرتحف خوفاً ، وقال في لهجة صارمة أمرة :

— حسناً أيها الرغيد .. إننى لن أضربك ، ولكنى أريد منك أن تهبط وسط الساحة .. هيا .. قبل أن يتنابنى الغضب .

وأطاع (فرانسوا) الأمر في رعب .

٧١

تطلع زعيم (الوميبيزى) إلى رجاله وهم يتقلون جثة (مارسيل)، ويقودون (فرانسوا) أسيراً إلى أحد الأكواخ، ثم التفت إلى (أدهم)، قائلاً — على لسان المترجم — فى أسف :

— يا للأسف ! لقد كنا نطلبهما من الأختيار .

أجاب (أدهم) وهو يفحص خزانة المدفع الرشاش، ويدس المسدس فى حزامه :

— سيعلمك هذا أن تروى كثيراً أيها الزعيم، قبل أن تصدر أحكامك .

مطأ الزعيم شفتيه فى أسف، وهو يقول :

— هذا صحيح .. ليس من الصحيح أن يبق المرء فى رجل أبيض .

عقد (أدهم) حاجبيه وهو يقول :

— لا فارق بين أبيض أو أسود أيها الزعيم .. كلنا بشر، وكلنا إخوة، وهناك طييون وأشرار بين البيض، كما هم بين السود، والحكم على طبيعة الإنسان وأخلاقه من خلال لونه وحده أمر قبيح . فقلوبنا كلها من لون واحد، مهما اختلفت بشرتنا .

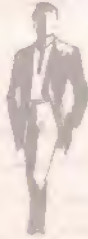
أوما الزعيم برأسه وهو يقول :

— هذا صحيح .. أنت محارب عظيم، وحكيم .

صافحه (أدهم) فى احترام، ثم اتجه مع (منى) إلى المليكوتير، وقال (أدهم) وهو يشير إلى مقعد القيادة :

— هيا يا عزيزى .. ستقودين أنت هذه المرة .

وارتفعت بهما المليكوتير، وانطلقت نحو هدفها .. نحو حصن (چان بول) ..



٩ — وبدأت المعركة ..

لاذت (منى) بالصمت، وهى تقود المليكوتير نحو الحصن، حتى لاح فى الأفق، فقالت فى قلق :

— ألا يتعارض هجومنا بهذه الصورة السافرة مع الخطة الأولى يا (أدهم) ؟

هز رأسه نفياً فى هدوء، وهو يقول :

— نعم يا عزيزى، فهذه المليكوتير تخص (چان بول)، وهو ينتظر عودتها إليه . ولن نحاول إطلاق أسلحته المضادة للطائرات نحوها .

غمغمت مبتسمة :

— وماذا لو أنه فعل ؟

جاءتها إجابته فى هجة صارمة :

— سيكون الدم من نصيبه يا عزيزى .

عقدت حاجبها وهى تعود إلى صمتها، وإن تضاعف قلقها

وهى تقترب من الحصن، وقد وضحت صورة رجال الحراسة

الذين يملتون سطحه، ولم تكذب تقترب منه حتى ارتفع صوت، يقول عبر جهاز اللاسلكى :

— من القاعدة إلى (هـ—٢) .. حدد شخصيتك وكلمة السر .

هتفت (منى) فى توتر :

— يا إلهى !!! هذا ما كنت أتوقعه، توجد كلمة سر يا (أدهم) .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة، وهو يقول :

— تجاهل ذلك يا عزيزى .

إلا أن الصوت عاد يكرر فى جثة :

— حدد شخصيتك وكلمة السر قبل أن تضطر لإطلاق النار عليك .

أدار (أدهم) جهاز اللاسلكى، وتقمصت حنجرته

صوت (مارسيل) فى مرونة مذهلة، وهو يقول :

— إنه أنا أيها الغنى .. أنا (مارسيل) .

عاد الصوت يقول فى لهجة بالغة الصرامة :

— كلمة السر أو أطلق النار .

أغلق (أدهم) جهاز اللاسلكى وهو يبتسم فى سرية :



انهمرت رصاصات المليونكوتير على رجال (جان بول)
كالطير ، قبل أن ينسحب أحدهم إلى ذلك الهجوم المباغت ..

— يبدو أن ذلك الوجد (جان بول) شديد الحذر بالفعل
باعزيزي ، سنضطر لباغته بمحضنا ، قبل أن يتخذ قراره في
شأننا .

ورفع صمام الأمان في مدفعه الرشاش ، وهو يستطرد في
صرامة :

— فلنبداً معركة يا (منى) .

ولم يكذب بعبارة حتى صغقت (منى) زرّ الإطلاق ، في
نهاية عصا القيادة ، وانقضت نغمة سطح الحصن برصاصات
المليونكوتير ..

انهمرت رصاصات المليونكوتير على رجال (جان بول)
كالطير ، قبل أن ينسحب أحدهم إلى ذلك الهجوم المباغت ،
وانقضت المليونكوتير تقودها (منى) ببراعة على السطح ،
وانخفضت إلى حد كبير ، ليقترب منها (أدهم) ، قبل أن تعاود
ارتفاعها في مهارة ..

ولم تكذب أقدام (أدهم) تستقر فوق السطح ، حتى
اصطلى رجال (جان بول) برصاصات مدفعه الرشاش ،
وهو يندفع نحوهم غاري الصدر ، ويمطرهم بنيرانه ،

٧٦

تحول سطح حصن (جان بول) إلى قطعة من الجحيم ، مع
البركان المراهقة بين (أدهم) ورجال (جان) ، ومع
انقضاضات المليونكوتير الخفيفة ، وبدا الأمر في غير صالح
(جان بول) ورجاله ، على الرغم من الفارق العددي
الضخم ، حتى انطلق صاروخ صغير من الحصن نحو
المليونكوتير ..

وفوجئت (منى) بالصاروخ ينطلق نحوها في إصرار ،
فاغترفت بالمليونكوتير محاولة تفاديه ، إلا أنه انحرف خلفها ، كما
لو كان يراها ، وبات من الواضح حيناً عدل مساره ليلحق بها
في المرة الثانية أنه موجه إلكترونياً عن بعد ..

ولم يكن هناك أمل في النجاة ..

وفي محاولة أخيرة ، انخفضت (منى) بالمليونكوتير حتى
قسم الأشجار ، وحاولت أن تنحرف بها مرة أخرى ، إلا أنها
رأت الصاروخ ينقض على مقدمتها في قوة ، فهتفت في ذعر :

— يا إلهي !!

وانفجرت المليونكوتير بدوى هائل ، انفزع (أدهم) من
قناله ، وجعل عينيه تستمان في جزع ، وهو يهتف من أعماق
قلبه :

٧٩

وأذهلتهم شجاعته ، ومهارته الفائقة في إطلاق النار ،
فتراجعوا أمامه في ذعر ، وطاشت عنه رصاصاتهم ، التي
يطلقونها بأيدي مرتجفة ..

وعادت المليونكوتير التي تقودها (منى) تنفض عليهم ،
وتحصدهم بنيرانها ، ووصلت أصوات القتال إلى (جان
بول) ، فقفز إلى جهاز اللاسلكي ، وهتف في توتر بالغ :

— ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

أجابه مسئول الأمن في انفعال :

— إنه هجوم يامسيو (جان) .. لقد استولى رجل وفتاة
على المليونكوتير التي انطلق بها (مارسيل) و (فرانسوا) ،
والفتاة قطعت رجلاً من المليونكوتير ، في حين يقتلهم الرجل
في شراسة فوق السطح .

صرخ (جان بول) في صرامة :

— أطلقوا أسلحتنا الدفاعية على المليونكوتير ، وحاصروا

الرجل فوق السطح .

ثم أغلق جهاز اللاسلكي ، وهو يستطرد في غضب :

— لن يزعجني رجل وفتاة .. لن ينهار حصن (جان بول)

أبدًا ..

٧٨

١٠ - الأسير ..

شعر (أدهم) وكأنه يبوي في أعماق بشر سحيقة ،
وامتلاء رأسه بطين قوى ، وتسَلَّتْ آلام مبرحة غبر ذراعيه
إلى معصيه ، وارتجف جفناه في قوة وهو يفتحهما في صعوبة ،
ويتأمل بعينين نصف مفتوحتين وجه الرجل الواقف أمامه ..
وفجأة .. جذبه (چان بول) من شعره في قسوة ، وهو
يقول في غضب :

— هيا .. اسبقظ أيها الشيطان .. إني لن أقضي يومى
كله في انتظار استعادتك لوعيك .

أراد (أدهم) أن يلكمه في أنفه ، ولكنه كشف في هذه
اللحظة فقط أنه مقيّد من معصيه ، وأن ذراعيه مرفوعتان إلى
أعلى ، يشأهما حبل غليظ إلى سقف الحجرة ، التي يقف في
منتصفها ، فاعتمد على قدميه ليقبّل من آلام جذب جسده
لمعصيه ، وفتح عينيه لينج (چان بول) نظرة ساخرة ، وهو
يقول :

٨١

٦ م - رجل المسجل - عملية الأدغال (٥٧) .

— يا إلهي !!! (منى) !!
فقد رأى الهليوكوبتر بهرى مشتعلة وسط الأدغال المحيطة
بالخصن . وكان هذا آخر ما رآه ..
لقد تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، أرسلته في غيبوبة
عميقة ..
عميقة حتى الموت ..



٨٠

— لقد تعثر صديقك (مارسيل) في قشرة موز ، فسقط
على رأسه ، وتخطم عنقه ، أما (فرانسوا) فهو في حوزنى ،
ولن تسترده إلا
قاطعه (چان بول) بصرخة استكبار :
— في حوزنك ؟ .. هل كنت تظن أنني مستعد للتنازل
عن ذرة واحدة في مقابل هذا الأحق ؟
رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول في
سخرية :
— يا إلهي !!! لقد تصوّرت أنك ستسلم نفسك إلى
السلطات من أجله .

احتقن وجه (چان بول) غضباً أمام لهجة (أدهم)
الساخرة ، فعاد يجذبه من شعره في قسوة ، وهو يصرخ :
— من أنت ؟ .. من أنت بحق الشيطان ؟
حافظ (أدهم) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :
— سيدعشك أن تعلم من أنا أيها الوغد .
ثم أردف في صرامة :
— أنا ضابط مخبرات مصرى .
انتفض جسد (چان بول) في قوة ، وترك شعر (أدهم) ،
وهو يتراجع في ذعر ، ويتف في ذهول :

٨٣

— هأنذا يا عزيزى الوغد ، ماذا تريد منى ؟
صاح (چان بول) في وجهه بغضب :
— من أنت ؟ .. ولماذا تسعى خلفى ؟
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— فلنقل إننى (علاء الدين) ، صاحب الصباح
السحرى ، وإنك الساحر الذى
قاطعه (چان بول) بصغعة قويّة ، وهو يصرخ :
— هل تحاول تقليد أبطال السينما ؟
احتقن وجه (أدهم) من فرط غضبه ، وقال في صوت
صارم ، آثار الرجفة في جسد (چان بول) :
— ستدفع حياتك ثمناً لهذه الصفعة أيها الوغد ..
تراجع (چان بول) لحظة أمام لهجة (أدهم) الصارمة ،
وعهيدده الخفيف ، ثم لم يلبث أن تذكر أنه المسيطر على الأمر
حتى هذه اللحظة ، فعاد يصيح في غضب :
— من أنت ؟ .. وماذا تريد منى ؟ .. وأين (مارسيل)
و (فرانسوا) ؟
أجابه (أدهم) في سخرية :

٨٢

— ضابط مخابرات مصرى ؟!

ثم لرح بذراعيه مستطرذا في جزع .

— وماذا تريد منى المخابرات المصرية ؟

حذق (أدهم) في عينيه يتحد ، وهو يقول في هدوء :

— لقد أتيت إلى هنا لغرض واحد يا (چان بول) .

وأردف في صرامة وحزم :

— أن أقتلك .

اتسعت عينا (چان بول) في ذهول ، وهو يتف :

— تقتلى ؟!

ثم عقد حاجبيه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وأردف في

غضب :

— من الواضح أن مهمتك قد فشلت أيها الضابط

المصري ، فأنا الذى سأقتلك لا أنت .

وارتجف صوته من فرط غضبه وانفعاله ، وهو يستطرذ في

عصية :

— سأشغلك على أقرب شجرة إلى حصنى .. الآن .

٨٤

تطلع رجال (چان بول) إلى (أدهم) في دهشة ، وهم
يقودونه إلى خارج الحصن لإعدامه ، فقد كانت هذه هي أول
مرة في حياتهم يرون رجلاً يساق إلى الموت ، وهو يحمل على
شفقيه تلك الابتسامة العجيبة ، التي تبدو وكأنها تسخر من
الموت نفسه ، وتضاعفت دهشتهم حيناً ألقى أدهم بالحيل
المعد لشنقه فوق غصن أقرب شجرة للحصن ، ووضع
الأشواط في نهايته حول عنقه ، فقد اتسعت ابتسامته
(أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— يبدو لي أنك تحيد عملك أيها الوغد .

تبادل الرجال نظرات الدهشة ، ثم غمغم أدهم في
سخط :

— أراهنك أن سخرتلك هذه ستلاشى عمماً قريب ، حيناً
يتأرجح جسدك في حبل المشنقة .

تألفت عينا (أدهم) ببريق عجيب ، وهو يقول :

— ستسخر وهناك أيها الوغد .

أسرع الرجل يقبض على طرف الحبل ، وهو يقول في غضب :

— لا أعتقد أيها المفرور ، سيمعدي أن أرى عينيك
الجاحظتين ، ولسانك المدلى حيناً أجذب هذا الحبل .

٨٥

وفجأة ارتفع صوت أنثوي ساحر ، يقول في صرامة :
— حذار أن تمس هذا الحبل ، وإلا جحطت عيناك أنت
أيها الوغد .

استدار رجال (چان بول) في دهشة وذعر ، وامتندت
أيديهم إلى أسلحتهم ، ولكنها لم تلبث أن تسمرت في مكانها ،
حيناً طالتهم قوة المسدس الضخم الذى تصوّبه إليهم
(منى) ، وهى تقول في برود :

— لقد ربح زميل العزيز الرهان أيها الأوغاد .

انتهى (أدهم) من إحكام وثان آخر الرجال الأربعة ،
وتكمم فمه ، ثم التفت إلى (منى) هاتفاً في إعجاب :

— لقد كنت رائعة هذه المرة يا عزيزتى .. لقد أنقذت
حياتى .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم في صوت
خافت :

— إنها محاولة لرد بعض خدماتك في هذا الشأن يا زميل
العزيز .

وبت (أدهم) على شعرها في حنان ، وسألها في اهتمام :

٨٧



ووضع الأشواط في نهايته حول عنقه ، فقد اتسعت ابتسامته (أدهم)
الساخرة ، وهو يقول : يبدو لي أنك تحيد عملك أيها الوغد ..

— ولكن كيف نجوت من انفجار الهلوكوتر ؟

ضحكت في مرح ، وهي تقول :

— لقد قلدت أسلوبك هذه المرة ، وفكرت من الهلوكوتر إلى قمم الأشجار قبل أن يرتطم بها الصاروخ بلحظة واحدة .

ثم تصرع وجهها بحمرة الخجل مرة أخرى ، وهي تستطرد :

— لعلها غريزة البقاء .

اتسم (أدهم) في حنان ، وهو يقول :

— بل هي براعتك يا عزيزتي .

خففت عينيها في حياء ، ثم سأله في اهتمام :

— والآن ماذا علينا أن نفعل ؟

هز كتفيه ، وهو يمينها في هدوء :

— إننا لا نملك الخيار يا عزيزتي ، فلا بد من مهاجمة (جان بول) ، قبل أن ينتبه إلى غياب رجاله .

غمضت في قلق وخيرة :

— ولكن هناك أكثر من عشرين رجلاً في الحصن .

اتسم (أدهم) وهو يقول في ثقة وهدوء :

— اطمئني يا عزيزتي .. إن لدي خطة ..

١١ — في وكر الذئب ..

مالت الشمس إلى الغروب حينما فوجئ حراس الحصن بأحد زملائهم يعدو نحو البوابة ، وهو يلوح بذراعيه صائحاً :

— لقد قرَّ الأسير .. باغتيا هجوم مفاجئ بعد أن تخلَّص من قيوده ونجح في الفرار

أسرع الحراس يفتحون البوابة لزميلهم ، الذي تغطى وجهه بالدماء ، وهم يسألونه في توتر :

— كيف فعل ذلك ؟ .. وأين قرَّ ؟

بدا الرجل وكأنه يكاد يسقط من فرط الإعياء ، وهو يشير إلى اتجاه الغرب ، مغمضاً :

— لقد انطلق في هذا الاتجاه .

أسرع خمسة من الحراس بمدا ففهم الرشاشة إلى الناحية التي أشار إليها زميلهم ، في حين تعاون اثنان على حمله من تحت إبطيه ، وأحدهما يغمم في توتر :

— يالك من تعس !! لن يفر لك مسير (جان) ذلك أبداً .. ولكن دعنا نضمد جراح وجهك أولاً .

غمم الجرح في لهجة بدت وكأنها شديدة السخرية :

— إنه يدافع عن قضية عادلة يا مسيو (جان) ، وليس مجرد مرتزق مثلاً .

اتسمت عينا (جان) ، وتراجع وهو يتف في دهشة :

— من أنت يا رجل ؟ .. إنك لست أحد رجالى !!

لم يكدر (جان بول) ينطق آخر حروف كلماته ، حتى دبَّ نشاط عجيب في جسد الحارس الجريح ، ففاص مرفقه الأسير

في معدة أحد الحارسين المرافقين له ، ودار على عقبيه ليحكم

الآخر لكفة ساحقة ، ألغقه خارج الحجرة ، ثم استدار ليضم

أنف الحارس الأول بلكمة كالقنبلة ، ويلقيه خلف رقبته ،

وأغلق الباب في حركة سريعة ، ثم التفت نحو (جان بول) ،

واتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول في هدوء :

— ها نحن أولاء وحدنا أخيراً يا وغد الأوغاد .. هل

عددك تنكرى البدائي ؟

إني الرجل الذي حضر ليقطك أيها الوغد .. إني (أدهم صبرى) .

لوح الحارس المصاب بكفه في ضعف ، وهو يغمم في

وهن :

— لا .. ليس الآن .. لابد لي من مقابلة مسيو (جان)

أولاً .. لقد حملني الأسير المهرب رسالة إليه .

هتف أحد الحارسين في دهشة :

— حملك رسالة إليه ؟ .. ياله من رجل !!

صاح المصاب في ضعف متزايد :

— اذهبا في إلى مسيو (جان) بسرعة ، قبل أن يتعد

الأسير .

أسرع به الحارسان إلى حجرة (جان) ، الذي لم يكدر

يتطلع إلى وجهه المغطى بالدماء ، حتى هتف في دهشة :

— ماذا حدث يا رجل ؟ .. ماذا أصابك ؟

غمم الحارس في توتر :

— لقد قرَّ الأسير يا مسيو (جان) .

اتسمت عينا (جان) ، وهو يتف في استكثار :

— هرب ؟ .. يالك من أغبياء !! كيف يفر منكم وهو

مقيّد الذراعين خلف ظهره ؟ كيف يتغلب على أربعة رجال

مسلحين وهو أعزل ؟

ترجع (جان بول) في مزيج من الدهول والدعر.. ثم
هتف في عصبية:

— ولكن هذا مستحيل.. أنت لست بشرًا.. أنت
شيطان.. شيطان.
أجابته (أدهم) في سخرية:

— لا تتحدث عن الشياطين هكذا أيها الوجود،
فسيكونون رفاقك في الجحيم الذي ستذهب إليه عمًا قريب.
احتقن وجه (جان بول) غضبًا، واتخذ وقفة قتالية
مألوفة، يجدها لاعبو رياضة (الكاراتيه)، وقال في حدة:

— عليك أن تهزمي أولًا أيها الشيطان.
تألفت عينا (أدهم) في جدل، وهو يقول:

— سيعدن أن أفعل ذلك أيها الوجود.
واتخذ تلك الوقفة القتالية بدوره، مستطرًا في سخرية:

— دورك أيها الوجود.

أطلق (جان بول) صرخة قويّة، وانقضّ على (أدهم)

كالعاصفة، وأراد أن يبري بحافة يده على عنقه في ضربة قاتلة.

إلا أن (أدهم) تفادها في براعة، وقفز إلى الخلف، وهو

يقول متهمًا:

— يبدو أنك تفتقر إلى المراتب أيها الوجود، فأنت ثقيل
كالشور.

عاد (جان بول) يطلق صرخته القوية، وهوى على رأس
(أدهم) بضربة أخرى، إلا أن (أدهم) تلقاها على ساعده

في بساطة، وأطلق قبضته القويّة في وجه (جان)،
فأصاب فكّه، وألقى به إلى ركن حجرته..

نهض (جان) محفًا ساخطًا، وفكّه محمّر من أثر لكمة
(أدهم)، الذي قال في سخرية:

— هيّا أيها الوجود.. لا تستسلم بهذه السرعة.
انقضّ (جان بول) على (أدهم) للمرة الثالثة، ولكن

بطلنا مال إلى اليسار متفادًا لكمته، ثم لكمته في معدته لكمة
صاعقة، جعلت (جان) يشفق في قوة، ويحيل إلى الأمام

منشأ على نفسه، فأعاده (أدهم) إلى وضعه الأول بلكمة

قوية، ثم أعقبها بأخرى ألقته فوق مكبته، وقال في هدوء:

— هيّا يا ملك الأوغاد.. اعترف بهزيمتك.

وفجأة التقط (جان بول) من خلف جهاز اللاسلكي،

الموضوع فوق مكبته، مسدسًا، واستدار إلى حيث يقف

(أدهم)، وصرخ في غضب هادر:

٩٣

— إنها هزيمتك أنت أيها الشيطان.
وأطلق رصاصة مسدسه بلا تردد..

كان (جان بول) يفخر دومًا بأنه لم يخطئ هدفًا في حياته
كلها، مهما بلغ هذا الهدف، ومهما بلغت سرعته..

ولقد كان هذا صحيحًا..
والحق يقال إنه كان راميًا بارعًا، لا يشق له غبار، على

الرغم من حقارته، ودناءة نفسه..

ويمكن أن نؤكد أنه حتى لحظة كتابة هذه السطور، لم

يخطئ هدفًا في حياته قط..

فقد انتهت حياته قبل أن تنطلق رصاصة بجزء من الثانية..

لقد تحرك (أدهم صبرى) بسرعة استجابته المذهلة

كالعادة، بمجرد أن لمح المسدس في قبضة (جان بول)،

فمال جانبًا، وانتزع مسدسه من ستره الحارس التي يرتديها،
وأطلق منه رصاصة واحدة..

رصاصة كانت تعرف هدفها جيدًا..

رصاصة اخترقت رأس (جان) وقتلته في الحال،
فانقضت أصابعه على مسدسه، وانطلقت رصاصة وهو

يسقط، وغاصت في جدار حجرته..

٩٥



انقضّ (جان بول) على (أدهم) للمرة الثالثة، ولكن بطلنا مال
إلى اليسار متفادًا لكمته، ثم لكمته في معدته لكمة صاعقة..

وأغلق (أدهم) عينيه في ارتياح ..
لقد كان يكره هذه المهمة منذ البداية ، لأنها تتعلق بقتل
رجل ، ولكنه لم يرفضها من أجل مصر
ولقد عاونه (چان بول) على إتمام مهمته ، دون أن يشعر
بالألم ..

عاونه حينما حاول هو قتله ..
لقد تحول الأمر حينئذ إلى دفاع عن النفس ، ولقد كان
(أدهم) يفضل ذلك ..
وفجأة انتبه (أدهم) إلى تلك الضجة التي سادت
المكان ، إثر انطلاق رصاصته ورصاصة (چان بول) ..
وانتبه إلى ضربات رجال هذا الأخير على الباب المغلق ، وتنبه
إلى أن المهمة لم تنته بعد ..
فما زال أمامه الخروج من هذا الجحيم ظافراً ..
ولم يكن ذلك سهلاً ..



٩٦

١٢ — الهروب من الجحيم ..

كان من الواضح أن باب حجرة (چان) الخشبي لن يحتمل
ضربات رجاله طويلاً ، وكان على (أدهم) أن يجد وسيلة للفرار
في سرعة ، فأسرع نحو نافذة الحجرة ، وتطلع منها بحثاً عن
مخرج ، وجذبت انتباهه تلك النافذة المجاورة لها ، والتي تبعد
عنها ثلاثة أمتار تقريباً ، قدس مسدسة في حزامه ، وقفز إلى
حافة نافذة (چان) ، واستعد للقفز إلى النافذة المجاورة ..

وفجأة اقتحم رجال (چان) الحجرة ، وهمازي الباب
الخشبي تحت وطأة ضرباتهم القوية ، ورأى (أدهم) فوهات
المدافع الرشاشة تصوب إليه ، فأسرع يتنزع مسدسه من
حزامه في سرعة ، ويطلق النار ..

أصابته رصاصاته الثلاث الأولى أيدي أقرب لثلاثة رجال
إليه ، وحينما حاول أن يطلق الرصاصة الرابعة كشف أن
مسدسه لا يحمل رصاصة رابعة ..

وانتبه رجال (چان) إلى نفاد ذخيرته ، فأطلقوا رصاصات

٩٧

وقفز (أدهم) داخل الحجرة ووقف يتطلع إليها في
دهشة ..

لقد كانت حجرة التوجيه الإلكتروني ، التي كان يعتمد
عليها (چان بول) للدفاع عن حصنه ضد الهجمات الجوية ..
وفجأة برزت فكرة عجيبة في ذهن (أدهم) ، فأخذ
يفحص الأجهزة في اهتمام ، متجاهلاً ضربات رجال
(چان) ، التي انتقلت إلى الحجرة التي يقف فيها ، ثم غمغم
وكانه قد حسم أمراً ما في أعماقه :

— نعم .. إنها الوسيلة الوحيدة ..

وبعضلة صغيرة على زر أصفر اللون ، انطلق صاروخ
مضاد للطائرات من سطح الحصن ، وأخذ (أدهم) يتابعه
على شاشة الرادار في اهتمام ، وهو يتعدى دون هدف ، ثم ابتسم
في سخرية ، وهو يقول :

— والآن تبدأ الألعاب النارية أيها السادة ..

ارتجف قلب (منى) حينما شاهدت (أدهم) وهو يقفز
من نافذة حجرة (چان) إلى النافذة الأخرى ، وأرادت أن
تسرع إليه ، وتعاونه على الفرار ، إلا أنها فصلت إطاعة أوامره

٩٩

مدافعهم الرشاشة نحوه في ثقة ، وعبرت رصاصاتهم النافذة ،
ولكنها لم تستقر في جسد (أدهم) أبداً ..

إنه لم يكذب يكشف نفاد ذخيرته حتى ألقي مسدسه أرضاً ،
واستجمع قواه ليقفز من نافذة حجرة (چان) إلى النافذة
المجاورة ..

وعبر جسده الأمطار الثلاثة في خفة ورشاقة ، واستقر على
حافة النافذة المجاورة ، وقبل أن يقفز داخلها ، فوجئ بفوهة
مدفع رشاش في وجهه ، وسمع صوتاً أمراً صارماً يقول في لهجة
جافة :

— لقد انتهت رحلتك أيها الشيطان .. إنها عطلتك الأخيرة ..

من السهل أن يتكلم الإنسان ، فينذر ويوعظ في صرامة ،
ولكن من العسير عليه أن ينفذ وعيده ..

هذا ما شعر به ذلك الرجل الذي كان يصوب مدفعه
الرشاش إلى وجه (أدهم) ، حينما تحركت قدم (أدهم) في
سرعة مذهلة ، فركلت المدفع الرشاش ، وأطاحت به بعيداً ،
ولكنه لم يلبث أن نسي كل الحكم والمواعظ عندما هوت قبضة
(أدهم) على فكّه . وحطمته تحطيطاً ..

٩٨

بعدم مغادرة مكنتها ، خشية أن تسبب مخالفتها للأوامر في زيادة الأمر سوءاً ..

وفجأة رأت الصاروخ يطلق من فوق السطح ، وأدهشها ذلك دهشة بالغة ، فلم تكن هناك طائرة واحدة تخلق في الأجواء ، فغمغت في مزيج من القلق والحيرة :

— ترى ماذا يعنون بإطلاق هذا الصاروخ ؟
وظلّت تتابع الصاروخ بعصرها وهو يتعد ويتعد ، ثم عادت تغمغم :

— فليقطع ذراعى إن لم يكن (أدهم صبرى) وراء ذلك ..
إنه يوى تلك المبادرات العجيبة .

تابع (أدهم) مسار الصاروخ على شاشة السرادار لحظات ، ثم أخذ يضغط أزرار جهاز التحكم الإلكتروني في سرعة ومهارة ، وهو يغمغم :

— عد إلى منزلك أيها الابن الضال .
لم يكدهم عيونه حتى اقتحم رجال (جان) هذه الحجرة أيضاً ، وقد بلغت ثورتهم مبلغها ، بعد كشفهم مصرع زعيمهم ، الذى يدفع روايتهم في سقاء ..

١٠٠

وقرروا قتل (أدهم) بلا رحمة ..

كان من الممكن أن ينجحوا في تنفيذ قرارهم هذا ، لولا أن قفز (أدهم) عبر النافذة في حركة مفاجئة سريعة ، ودار بجسده دورة رأسية رشيقة ، قبل أن يستقر على قدميه ، ويعدو في اتجاه الأدغال ..

واندفع رجال (جان بول) إلى النافذة ، وأخذوا يطلقون رصاصاتهم نحو (أدهم) ، الذى انطلق يعدو في سرعة ، متخذاً مساراً متعرجاً ، متفادياً الرصاصات التى انهمرت حوله كالطرر ..

وصوب أحد رجال (جان بول) مدفعه إلى ظهر (أدهم) ، وسدده في هدوء وإحكام ، وتراقصت سبائنه على الزناد ، حينما صاح رجل آخر في رعب :

— يا للشيطان !! انظروا !!

رفع الجميع عيونهم إلى حيث أشار زميلهم ، واتسعت تلك العيون في رعب شديد ، فقد كان الصاروخ قد استدار ، واندفع نحوهم في سرعة ..
وهذا ما فعله (أدهم) بأجهزة التوجيه ..

١٠١

وتصارع رجال (جان بول) لحظة ، وكل منهم يحاول الفرار من مصيره المحتوم ، ولكن الصاروخ سبقهم إلى الهدف ..

وانفجر حصن (جان بول) في دوى ارتجت له أركان أذغال (الكونغو) ، وأضيت السماء بالنيران التى اشتعلت فيه في قوة وشدة ..
وانتهت إلى الأبد عملية الأدغال ..



١٠٢

١٣ — الختام ..

انهلك مدير مكتب التصاريح السياحية في (كينسجاني) في مراجعة بعض أوراق مكتبه ، واستغرقه ذلك العمل حتى أنه لم يشعر بالرجل والفتاة ، اللذين دلفا إلى حجرته في هدوء ، حتى لمح بطرف عينه الرجل يقف أمام مكتبه ، وسمعه يقول في لهجة بالغة السخرية :

— هل تسمح لي باستعادة العهد الذى كتبته يا سيدي ؟
انفض جسد المدير في قوة ، ورفع عينيه يحدق في وجهي (أدهم) و (منى) في ذهول ، ثم لم يلبث أن غمغم في ارتباك وتلعثم :

— هل .. هل عدتما ؟
ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفهي (أدهم) ، وهو يقول في عيب :

— بالطبع يا سيدي .. لقد عدنا .. إنم تحديق في وجهينا بكل هذه الدهشة ؟

١٠٣

ألم تكن تتوَلَّع عودتها ؟

ازداد ارتباك الرجل وتلعثمه ، وهو يقول :

— سرى عودتكما بالطبع ، ولكنى كنت أخشى من قسوة الأدغال ورجال (الوميضى) و...

قاطعته (أدهم) فى هدوء ساخر :

— لقد كانت الأدغال رائعة يا سيدي ، وحيواناتها المفترسة بدت لنا شديدة الوداعة ، أما عن (الوميضى) فقد كانوا لطفاء للغاية ، ولقد دعونا لزيارتهم فى رحلتنا القادمة .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة ، وهو يستمع إلى (أدهم) ، ثم غمغم فى ذهنه :

— (الوميضى) كانوا لطفاء ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

— بالطبع يا سيدي .. إنهم اللطف قوم صادقاهم فى رحلتنا .

ثم أردف فى غيب :

— إنهم على الأقل لا يطعنونك فى ظهرك مطلقا .

شحب وجه الرجل وقد فهم مغزى عبارة (أدهم) ، الذى عاد يقول فى هدوء ساخر :

١٠٤

— التمهيد من فضلك يا سيدي .

بحث الرجل بأصابع مرتجفة عن التمهيد الذى كبه (أدهم) ، وناولته إياه ، مغمضا فى ارتباك :

— يسعدنى أنكما عدتما سالين .

عاد (أدهم) يهز كتفيه ، قائلا فى سخرية :

— إنه غموض الأدغال يا سيدي ، فيها نحن أولاء نذهب فى رحلة سلمية ، ولا نحمل أية أسلحة ، ثم نعود سالين ، فى حين يقم (جان بول) حصنا وسط الأدغال ، ثم يلقى مصرعه .

اتسعت عينا الرجل حتى كادتا تقفران من محجرجما ، وهو يتف فى ذهنه :

— يلقى مصرعه ؟ .. هل مات مسيو (جان بول) ؟

مطأ (أدهم) شفتيه ، مغمضا فى أسف مفتعل :

— نعم للأسف يا سيدي .. لقد انفجر حصنه فى ظروف غامضة .

انكمش الرجل فى مقعده ، وشحب وجهه وهو يغمغم فى صوت مختنق :

— ومنى حدث ذلك ؟

١٠٥

التفتت (منى) إلى (أدهم) ، الذى يجلس إلى جوارها فى الطائرة مغمض العينين ، وغمغمت فى صوت خافت :

— هل أنت نائم ؟

أجابها فى هدوء ، دون أن يفتح عينيه :

— لا .. ولكنى أنتظر وصولنا إلى القاهرة لأستغرق فى النوم .

ابتسمت فى حنان ، وهى تغمغم :

— لقد كانت عملية مرهقة .. أليس كذلك ؟

ابتسم وهو يغمغم بدوره :

— ولكنها لم تكن أصعب عملية واجهناها منا .

ضحكت وهى تقول :

— ولكنها كانت أول مرة نصارع وحوش مملكة الحيوان والإنسان فى آن واحد .

وعادت تضحك قبل أن تستطرد :

— أراهنك أن علماء الأجناس سيحاربون طويلا فى المستقبل ، حينما يحاولون البحث عن سر صنع ذلك التمثال الضلّصالى فى قرية (الوميضى) ، الذى يمثل رجلا يحمل أسدا مقيدا على كتفيه .

١٠٧

أجابه (أدهم) فى هدوء ساخر :

— مساء أول أمس ، ولكن يبدو أن الأخبار تنقل فى بطن شديد عبر الأدغال :

— بدا الرجل وكأنما تقدم به العمر عشرات السنين ، وهو يغمغم فى انكسار :

— هذا صحيح .

ابتسم (أدهم) فى غيب ، وهو يقول :

— يقولون إن مصرعه المفاجئ هذا سبب أزمة اقتصادية لعدد من المسؤولين هنا ، فقد كان يدفع لهم رواتب شهرية ، فى مقابل حايته .

غمغم الرجل وهو يزداد شحوبا ، وانكمشا فى مقعده :

— ربما .

مزق (أدهم) التمهيد فى هدوء ، ووضع فى منفضة

السجائر على مكتب الرجل ، وهو يقول فى هدوء :

— لا تجعل هذا يهزتك يا سيدي ، فعكومتكم النشطة لن تلبث أن تضع يدها على أموال كل من كان يعاون (جان بول) .. إنها النهاية العادلة .

ثم غادر المكتب مع (منى) ، وترك الرجل يكاد يتلاشى فى مقعده ذلا وانكسارا ..

١٠٦

عاد يتسم وهو يفهم ، دون أن يفتح عينيه :
 — ربما لا يحتفظ به (الومبىزى) حتى ذلك الحين .
 ضحك مرة أخرى ، وهي تقول :
 — هل تراهن ؟
 ثم هفت فى حماس :
 — ولكن هناك شيئاً لم أفهمه بعد .
 سأفها فى هدوء :
 — ما هو ؟
 قالت فى اهتمام :
 — آلة التصوير السينمائية الصغيرة التى كنت تحملها فى
 بداية رحلتنا ، ماذا كانت فى الحقيقة ، قبل أن تفوس فى أعماق
 نهر (الكونغو) .
 ابتسم وهو يقول :
 — عيبنى .
 قالت فى حماس :
 — أراهنك أنها كانت قبلة موقوتة ، كنت تنوى تفجيرها
 فى حصن (جان بول) .. أليس كذلك ؟
 غمغم فى هدوء :

— أخطأت التخمين يا عزيزتى .. لقد كانت مجرد آلة
 تصوير عادية .
 رفعت حاجبها فى دهشة ، وهي تقول :
 — آلة تصوير عادية ؟! .. ولم كنت تحملها بكل هذا
 الاهتمام إذن طوال الوقت ؟
 ابتسم وهو يقول فى هدوء :
 — كنت قد وعدت ذلك الحائن فى مكتب التصاريح
 بإعطائه نسخة من الفيلم .. أليس كذلك ؟
 اتسعت عيناها فى دهشة مرة أخرى ، ثم ضحكت وهي
 تغمغم فى إعجاب :
 — ياللك من رجل !!
 ربت على كفها فى حنان ، وهو يقول :
 — دعك من كل هذا يا عزيزتى .. لقد انتهت المهمة هذه المرة .
 تهتدت فى ارتياح ، وأسندت رأسها إلى مقعدها فى
 استرخاء ، وغمغمت وهي تغلق عينيها بدورها :
 — نعم يا زميل العزيز .. لقد انتهت المهمة هذه المرة ..
 انتهت عملية الإدخال ..

 [تمت بحمد الله]